وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

الترجمة والعولمة

كوكبة من الباحثين

الترجمة والعولمة

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل
TRADUCTION ET MONDIALISATION
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
Institut des sciences de la communication du CNRS
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين منشورات ضفاف
All rights reserved

الترجمة والعولمة

كوكبة من الباحثين

ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه
أ.د. محمد خير محمود البقاعي

وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

منشورات ضفاف
DIFAFPUBLISHING

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0957-5

جميع الحقوق محفوظة

وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

26 Rue Murillo

75008 Paris

France

هاتف 0033144018686 - فاكس 0033142277214

منشورات ضفاف
DIFAFPUBLISHING
هاتف الرياض: 966509337722+
هاتف بيروت: 9613223227+
editions.difaf@gmail.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

جميع الحقوق محفوظة لوزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية، ولا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الوزارة.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة التعليم العالي - الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا ومنشورات ضفاف

المحتويات

مقدمة المترجم 7

مقدمة عامة 11

الترجمة، رهان العولمة الأساس – *ميخائيل أوستينوف* 11

الترجمة والتواصل في عالم متعدد اللغات 13

"انكفاء العالم" 16

بيان النصوص المقدمة 20

ما تستعصي ترجمته والعولمة – *بزيارة كاسان* 27

مسألة اللغات والترجمة في صلب سياسات الاتحاد الأوروبي ليونار أوريان 43

التوسع والعولمة: التنوع اللغوي المتنامي في رحاب الاتحاد الأوروبي 44

الترجمة، الركيزة الأولى لأوروبا الواحدة 49

التنوعية اللغوية عامل تنافسي للاقتصاد الأوروبي 51

العلوم "الصحيحة" والترجمة – *جان- مارك ليفي-لويلون* 55

التنوع الثقافي: رسالة الترجمة – *خو يون* 71

الترجمة والغيرية 72

ما يُترجم وما يستعصي على الترجمة 76

التنوع الثقافي والعولمة 81

خاتمة 84

الترجمة من العربية وإليها في عصر العولمة – *فؤاد لعروسي وإبراهيم البلوي* 87

نظرة على مصطلح: ترجمة 88

مكانة الترجمة في الثقافة العربية 90

وضعية الترجمة في العالم العربي اليوم 97
خاتمة..... 103

الترجمة والتعدد اللغوي في بوركينا فاسو – *لالبيلا أ. يودا*..... 105

الترجمة الأدبية والمسموعة–المرئية في بوركينا فاسو..... 109
تصنيف Typologie الترجمة في بوركينا فاسو 115
خاتمة..... 119

الترجمة، جواز عبور للوصول إلى الآخر – *دومينيك ولتون*..... 123

الترجمة والتواصل..... 125
الترجمة والتنوع الثقافي..... 127

ببليوغرافيا مختارة..... 131
كشاف المصطلحات..... 133
المؤلفون..... 141

مقدمة المترجم

إن قارئ الكتب التي أرخت لحضارات العالم منذ أقدم العصور حتى يوم الناس هذا يرى أن عنصرا من أبرز عناصر ارتقاء تلك الحضارات وازدهارها هو الترجمة. لقد كانت كل حضارة تسلم قياد الكون والبشرية إلى حضارة آخرى في تداول هو سنة الله التي أرادها لإعمار الكون فلم يخص عرقا دون عرق ولا بقعة دون بقعة وإنما جعلها دولا تدول لتسلم الزمام إلى آخرى.

ويعيش العالم اليوم أعظم مراحل حياة الإنسان على الأرض وأخطرها في مجالات الكون كله؛ الفضاء، أعماق البحار، أقاصي الدنيا، الدماغ البشري، الخريطة الوراثية، الجينات، الاتصالات، الأسلحة النووية والهيدروجينية، الحاسبات العملاقة وغير ذلك مما يسهل حياة البشر ويهددها. وتشكل الترجمة في هذا البحر المتلاطم من قدرات الإنسان وضعفه وسيلة من أهم وسائل الاتصال فيما نسميه اليوم: العولمة. التي يظن غير المتابع للتاريخ الحديث أنها بدأت في أول القرن الحادي والعشرين مع انفجار وسائل الإعلام الفضائية. والحقيقة أن العولمة ثلاث عولمات: سياسية بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإنشاء منظمة الأمم المتحدة، واقتصادية بدأت مع عملية انفتاح الاقتصادات الوطنية على سوق أصبح كونياً في نهاية القرن العشرين. والثالثة هي عولمة ثقافية نعيشها اليوم في إطار مصطلحات كحوار الحضارات، وحوار الثقافات والتعدد اللغوي والتنوع اللغوي والتعددية الثقافية والتعددية اللغوية وحماية التنوع البيئي واللغوي والتعبير الثقافي. كل هذا وغيره من التحديات التي

يواجهها العالم جعل للترجمة أهمية في التواصل بين البشر، وفي نقل التقنيات والأفكار والتقريب بين العادات والتقاليد. ووعت منابر ثقافية وعلمية أهمية الترجمة فخصصت لها المؤتمرات جلساتها، والمجلات العلمية بعض أعدادها ومنها مجلة هرمس HERMÈS التي تصدر عن المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا (SNRS)، هذه المجلة التي تحلل منذ عشرين عاماً التحول العظيم الذي حدث في مجال الاتصال عبر مئات الأبحاث وألف من المؤلفين أسهموا في تأسيس حقل جديد من المعارف بعيداً عن الخطابات التقنية والاقتصادية والسياسية. وقد أصبح ما قدمته هرمس إرثاً لا يمكن التخلي عنه في تكوين أساس من المعطيات العلمية حول حالة البحث في مجالات الإعلام والاتصال والثقافة والسياسة. وفي هذا السياق تناولت الأبحاث في مجال علوم الاتصال منذ عام 1988م مفاهيم جوهرية مثل: الفضاء العام، والاتصال السياسي، والتلقي، والرأي العام، والهوية، والتنوع الثقافي، وأنظمة الإعلام، ومجتمع المعرفة، والعولمة والاتصال، والترجمة.

لقد أصدرت مجلة هرمس عددين من أعدادها بعنوان: **الترجمة والعولمة**، أولهما العدد 49 وصدر في عام 2007م، وثانيهما العدد 56 وصدر في عام 2010م. والبحوث المضمنة في هذه المختارات مأخوذة من هذين العددين. ومختارات هرمس Les Essentiels d'HERMÈS سلسلة تصدر في إطار المجلة تأمل في تسهيل وصول الجميع إلى الأبحاث المعاصرة، وكل كتاب يختص بموضوع يقدم عنه ملفاً يسمح للقراء بالاطلاع على النصوص المؤسسة المنشورة في المجلة. وترمي هذه السلسلة إلى فتح شهية القارئ ليعرف عن موضوع الكتاب أكثر. وترمي أيضاً إلى التذكير بأن الكتاب الورقي لا يزال وسيلة إعلام لا مناص عنها لفهم العالم، وأنه جسر بين البحث والجمهور.

لقد رأيت في ترجمة هذا الكتاب إسهاما في إيصال رسالة القائمين عليه إلى القارئ العربي في موضوع جوهري هو مكانة الترجمة في العولمة الثالثة، العولمة الثقافية. وقد حرصت على أداء نصوص الكتب بعربية واضحة معربة، بعيداً عن المعاظلة والضبابية، فلم أترجم إلا ما فهمته حق الفهم حتى لو استغرق فهم الجملة أياماً، أو تطلب العودة إلى المقتبسات في مصادرها الأصلية لفهم سياقاتها.

وكل ما أرجوه أن تسهم مثل هذه الترجمة في بناء فكر عربي معاصر قائم على الانفتاح، ينبذ التعصب والإيديولوجيا القاتلة في المجالات كلها.

وأود في ختام هذه المقدمة أن أشكر لسفارة خادم الحرمين الشريفين في فرنسا ممثلة بالملحقية الثقافية التي اعتمدت مشروع ترجمة نرجو أن تكون ثماره خيرا وتقدما على المملكة وقيادتها وشعبها، أشكر لها، بشخص الملحق الثقافي الأستاذ الدكتور **إبراهيم البلوي**، اهتمامها بنشر هذه الترجمة في سلسلة إصدارتها التنويرية. وأشكر أيضاً للأستاذ **جساس أنعم** من الملحقية الثقافية السعودية في باريس تواصله المثمر، ومهنيته العالية، ودقته في التعاملات الرسمية والإنسانية. كما أشكر جامعة الملك سعود التي تتيح الفرصة لمنسوبيها من أعضاء هيئة التدريس لأداء رسالتهم في البحث والترجمة سعيا إلى المكانة التي تطمح إليها بين جامعات العالم. والله ولي التوفيق.

مقدمة عامة:

الترجمة، رهان العولمة الأساس

ميخائيل أوستينوف
Michaël Oustinoff

ما ينبغي أن نأخذه في الحسبان أن العبارة التي شاعت في الحقبة التي بدأ فيها الأنترنت في التسعينيات يتطور بخطى متسارعة كل التسارع هي عبارة: إن لغة "الطرق السريعة للاتصالات" ستكون الإنجليزية–وأصبح ذلك من الآن فصاعداً حكماً مطلقاً. إن حضورها الطاغي، وهذه حقيقة، يبدو ظاهراً للعيان.

وما ذكرناه يجعل الحجة التي يتخذها مناصرو الإنجليزية للقول: إنها لغة كونية، وإنها وحدها لغة الحداثة، بل لغة "ما بعد الحداثة"، حجة صائبة.

لنحاول رسم لوحة لما يجري اليوم: من ذا الذي يجرؤ أن يزعم اليوم أن اللغة الإنجليزية لغة كونية، وأنها لغة الحداثة وما بعد الحداثة، ومستخدموها هم اليوم أقل من النسبة الرمزية 50% بالنسبة إلى اللغات الآخرى، وهو تطور يبدو أنه أمر لا يمكن إخفاؤه شأنه شأن انتشارها في مرحلة نشأتها الأولى[1].

---

1 * سوريد، د.، "الكتابة بعدد من اللغات على المواقع الإلكترونية في المستقبل" في مجلة نيويورك تايم، 8 كانون الأول/ديسمبر 2008م.
SORRID, D., "Writing the Web's Future in Numerous Languages", The New York Times, 8 Décembre 2008.

ولكن الأمور، على الرغم مما ذكرناه، ليست بالبساطة التي نتخيلها. ينبغي، هنا وفي أي موضع آخر، الابتعاد عن الموقف الثنائي. إن للعولمة من وجهة نظر اللغات حركة مزدوجة، هي في الوقت نفسه[10] جاذبة نحو المركز (بسبب الجاذبية التي تمارسها الإنجليزية بوصفها لغة مشتركة)[1] وطاردة عن المركز: لأن العالم من وجهة نظر الاتصال يخطو باتجاه **تعدد لغوي**[2] يسير بخطى سريعة وليس العكس. وتطرح هذه الحركة كما يبدو سلسلة من الأسئلة. أولها ينصب على معرفة السبب الذي يدعونا إلى المسير باتجاه التعقيد بدلا من السير باتجاه البساطة الظاهرية المتمثلة باللغة الواحدة؛ والسؤال الثاني هو معرفة كيف يمكن ضبط ذلك التعقيد؛ والسؤال الثالث والأخير هو التساؤل عن النتائج التي يفترضها هذا المعطى الجديد **للعولمة**[3] من وجهة نظر الاتصال الذي يتناقص الاهتمام به أكثر فأكثر في إطار لغة واحدة أو ثقافة واحدة.

إن فيما ذكرناه انقلاباً في المنظور يدعونا للتو في حل رموز مراهناته، لأننا كنا خلال زمن طويل معتادين على النظر إلى الأشياء عبْر المقولة المشوهة: **كل شيء للإنجليزية**[4]، أو أي مقولة أخرى من مشتقاتها، والمقصود في نهاية الأمر المقولة التي تقوم على رؤية تقنية خالصة للغات التي ننتقص قدرها بالنظر إليها على أنها مجرد أدوات يمكن استعمال أحدها بدل الآخر، في حين أن كل لغة تعد رؤية لعالم يختص بها وحدها. ولكن اللغات التي تنقل المعلومات (بالمعنى

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

1 Lingua franca

2 babélisation

3 mondialisation

4 Tout-à-l'anglais

التأثيلي للكلمة)[1] ليست مجرد "أنابيب" "للمحتويات" التي تمر عبرها.

[11] لذلك قرر القائمون على مجلة **هرمس** Hermès تخصيص عددين منها لهذه المسألة، نُشرا على مدى ثلاث سنوات (العدد 49 في عام 2007م والعدد 56 في عام 2010): لقد أصبح من المستحيل اليوم تحليل التواصل في عصر العولمة معرضين عن مسألة الترجمة التي هي من الآن فصاعداً مسألة مركزية. إن هذا الأمر ظاهرة جديدة، كان من السابق لأوانه الاهتمام بكل تداعياتها[2].

الترجمة والتواصل في عالم متعدد اللغات:

انتفضت الأكاديمية البريطانية British Academy في تقرير حديث، ضد مقولة **كل شيء بالإنجليزية** لأن ذلك يعني بالنسبة إلى من يتحدث الإنجليزية التهميش والانغلاق ضمن منظور انعزالي، مما يعني للباحث، إذا أردنا استخدام صيغة دعابة مطبوعة بطابع بريطاني خالص، أنه يحكم على نفسه بأن يكون معروفاً على النطاق العالمي في إنجلترا وحدها. وليس هذا التقرير هو الوحيد الذي يذكر ذلك، بل إنه يمضي في الاتجاه الذي مضت فيه من قبلُ دراسات يزداد عددها في العالم الناطق بالإنجليزية يوماً بعد يوم (غرادول Graddol، 200 و207م).

---

1 *فولارون، د.، غامبييه، يا.، "تحديد الموقع: إحدى مراهنات العولمة"، هرمس رقم 49، 2007م.
FOLARON, D., GAMBIER, Y., "La Localisation: un enjeu de la mondialisation" Hermès n 49, 2007.

2 * منديس دو باروس، ل. "التثاقف في وقت التشظي التواصلي"، هرمس رقم 56، 2010م.
MENDES DE BARROS/ L., "L' interculturalité à l'heure de l'hybridation communicationnelle", Hermès n 56, 2010.

ولا نستطيع إلا أن نلحظ تشابه وجهة النظر هذه مع وجهة النظر التي عبر عنها إدوارد غليسان Edouard Glissant في كتابه: **مدخل إلى شعرية المختلف**[1]:[12] "أعتقد أن كاتباً فرنسيا في أوروبا القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، حتى لو كان يتقن اللغة الإنجليزية أو الإيطالية أو الألمانية، ما كان ليأخذ ذلك في الحسبان وهو يكتب. فالكتابات كانت كتابات ذات لغة واحدة. أما اليوم، حتى لو كان الكاتب لا يعرف أي لغة فإنه يأخذ في الحسبان، وعى ذلك أم لم يعه، وجود تلك اللغات حوله في سيرورته الكتابية. لم يعد باستطاعتنا أن نكتب لغة بطريقة أحادية اللغة. إننا مجبرون على أن نأخذ في الحسبان كل طرق التخييل التي تصطنعها اللغات"(غليسان، 1996، ص 91). يحدث كل شيء كما لو أن موضوعة كامنة واحدة تربط الموضوعات (والمعالات) التي كانت فيما مضى منفصلة بعضها عن بعض: إن تقرير الأكاديمية البريطانية لا يستند في واقع الأمر على بُعْد الإنسانيات والعلوم الإنسانية وحده.

إنها توسع المنظور إلى أبعد من ذلك بكثير، مبتدئة بالبحث على وجه العموم، وبتأثيره في قدرة بريطانيا العظمى على المنافسة. إن هذا التقاطع في المنظورات ليس وليد المصادفة: إنه منتج من منتجات العصر الذي نعيش فيه، وهو عصر تزداد فيه كل يوم استحالة الانعزال في عالم أحادي اللغة، أو عزل مختلف المقاربات الممكنة حول العالم بعضها عن بعض في لحظة ينحو كل شيء نحو التواصل المشترك في شبكات. ونقول لكي نساير ما قاله إدوارد غليسان: إن الأحادية اللغوية نفسها ينبغي أن تأخذ في الحسبان، في رحاب تخييلها نفسه،

---

1 Introduction à une poétique du divers

أنها تعيش في عالم [13] **متعدد اللغات**[1]. ولكي تستطيع دخول هذا العالم تصبح الترجمة منذئذ مسألة مصيرية، تطرح نفسها بمصطلحات لا عهد لها بها.

إن مثال الباحثين الأنجلوفونيين في العلوم الإنسانية هو مثال دال كل الدلالة، لكي لا نقول إنه نموذجي في هذا المجال. ويتضح من تقرير **مسائل اللغة**[2](الذي سبق ذكره) بما لا مزيد عليه من الوضوح الحلقة المفرغة التي تجعلهم سياسة اللغة الواحدة القصيرة النظر يدورون فيها.

وآية ذلك أنهم يجدون أنفسهم محكوما عليهم بأن يقوموا بأبحاثهم انطلاقاً من المصادر المتوافرة بالإنجليزية. إذنْ، يشكل ذلك في المقام الأول تحديداً كمياً خالصاً، ولكنه تحديد بعيد كل البعد عن أن يكون بلا أهمية: نلاحظ في هذا السياق أن عددا متزايداً من الباحثين يتجنبون في اختيار موضوعات رسائلهم الموضوعات التي تفترض مراجعة الكتب بلغات كالألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية، وبدرجة أقل الروسية: كيف يمكن الانخراط في كتابة رسالة دقيقة كل الدقة عن ألمانيا أو فرنسا أو روسيا دون معرفة الألمانية أو الفرنسية أو الروسية؟

أما أنصار مقولة: **كل شيء للإنجليزية** فإنهم يقولون، مستندين إلى مثل لاتينية العصر الوسيط أو فرنسية عصر الأضواء: الحل بسيط. إنها ليست إلا مسألة وقت. إن كل ما يؤخذ في الحسبان في المدى المنظور على مستوى البحث يجري بوساطة الإنجليزية: إنها المنفعة التي يفهمها الجميع حق الفهم. وبانتظار ذلك يمكن للترجمة أن تتكفل

---

1 multilingue

2 Language Matters

بالأمر حتى نصل إلى مرحلة يصبح ليس من الضروري اللجوء إلى مقولة **كل شيء بالإنجليزية** التي تصبح مكتملة.[14] ولكن المشكلة هي أننا لم نعد في العصر الوسيط، ولا في عصر الأضواء، وأن الأحادية اللغوية بوصفها مفتاح قبة التواصل الكوني لا تصمد أمام امتحان وقائع العالم المعاصر. ويُظْهر تقرير الأكاديمية البريطانية الذي يتوافق مع التقليد التجريبي للعالم الأنغلو سكسوني أن **البراغماتية**[1] تقتضي في المقام الأول التخلي عن مقولة كل شيء للإنجليزية.

إن البرهان الذي أوردناه قابل للتعميم أيضاً. والأمر كما يبدو ليس مشكلة "داخلية" تخص بريطانيا العظمى حتى لو كان يبدو أنها مطروحة هناك طرحاً أكثر حدة منه في أي مكان آخر. وليست أيضاً مشكلة تقتصر على الإنسانيات والعلوم الإنسانية، ولكنها تتسع لتشمل العلوم الأخرى، والعلوم الطبيعية على وجه الخصوص، لأنها علوم ما زالت بعيدة كل البعد عن أن تكون قابلة للتقعيد، شأنه شأن الرياضيات. والنتيجة أن في هذا مثالاً آخر على التأثير الحاسم "للعولمة الأخرى" (**ولتون** Wolton, 2003).

"انكفاء العالم":

إن اللغات التي يأتي تقرير **الأكاديمية البريطانية** على ذكرها تشترك في أنها لغات أساسية في العالم الغربي: الإنجليزية، الألمانية، الفرنسية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية. بيد أن مركز التأثير في عالم اليوم انتقل (بل تفتت[15] في عالم متعدد الأقطاب)، كما يظهر ذلك ارتقاء دول مثل (البرازيل وروسيا والهند والصين)[2]، ويمكن أن نضيف

---

1 pragmatisme

2 يرمز إليها الكاتب بـ BRICs وهي الحروف الأولى من أسماء الدول

إليها **أندونيسيا**. وينبغي أن نُدرج في هذا السياق وجهة النظر التي عبَّر عنها **ليونارد أوربان** Leonard Orban، المفتش الأوروبي المكلف بالتعدد اللغوي (2007-2010م)، على صفحات صحيفة لوموند Le Monde، وهي وجهة نظر يمكن في ظرف آخر أن تعد فكرة طوباوية: "إذنْ، ينبغي على الموظفين، لكي يسعدوا كل السعادة أرباب عملهم، أن يتقنوا ثلاث لغات على الأقل: لغة بلادهم الأصلية، والإنجليزية بالطبع، ولغة ثالثة من اللغات الأكثر انتشاراً في الاتحاد الأوروبي- الألمانية أو الفرنسية أو الإسبانية أو الإيطالية. دون إهمال الروسية والعربية والصينية"[1]. لقد رسمنا تصور كتاب المختارات هذا في الإطار المتسع الذي ألمحنا إليه، شأنه شأن مُجَلَّدَيْ مجلة **هرمس** اللذين انتخبنا منهما هذا الكتاب.

لقد أردنا بمحض إرادتنا للمقاربة المعتمدة فيه أن تنضوي تحت لواء أوسع بينية ممكنة، واستعنا بمؤلفين قادمين (أو مقيمين) في بلاد متنوعة كل التنوع[2]: لا يمكن لمثل هذه الإشكالية بسبب تعقيدها (موران Morin, 1990) أن تستغني عن العمل الميداني، ويُعَرَّف هذا الميدان بأنه ميدان عالمي.

ولنسمح لأنفسنا بإبداء ثلاث ملاحظات قبل أن نترك للقارئ مهمة التقدم في القراءة: الأولى، هي أن مسألة اللغات والترجمة، في ظل اندفاع العولمة، أصبحت المسألة-المفتاح للعالم[16] المعاصر، وأصبحت

المذكورة. ويقول: إنها تصبح BRIICs إذا أدرجنا معها أندونيسيا.

1 ريكار، ب.، "دراسة بريطانية تطري التعددية اللغوية في مجال الأعمال" لوموند، 25لأيلول/سبتمبر 2007م.
RICARD, p. "Une etude britanique prone le multilinguisme en affaires", Le Monde, 25 septembre 2007.

2 على سبيل المثال تم تنسيق المجلد الثاني في فرنسا والبرازيل في آن معاً.

عبر طريقة الاستنباط المسألة المفتاح للبحث. وينبغي ألا نشكو إذا كان عدد الدراسات البينية الحقة في هذا المجال قليلاً نسبياً، في هذه المدة على الأقل، (مع أنه عدد لا يستهان به): بل إن ذلك هو على العكس دليل وجود حقل واسع لم يجر استكشافه بعد وينبغي استكشافه إلى أبعد مدى؛ والملاحظة الثانية، هي أن مثل هذه الإشكالية تنزع إلى محو الحدود بين العلوم التي تسمى"صحيحة" والعلوم الإنسانية: إن هناك استمرارية بين كل هذه الطرق المتنوعة لمواجهة العالم من اللحظة التي تصبح فيها المسألة مسألة تواصل. ولن يستطيع التواصل في فضاء معولم التخلي عن اللغات والترجمة، وإلا برز خطر الحكم على العلم-بل كل العلوم-بعدم التواصل، وتتفاوت نسبة الاتهام باختلاف المجالات: لأن بعض العلوم أكثر قابلية للتقعيد من بعضها الآخر.

والملاحظة الثالثة، التي تكمل العقد تتصل بالتساؤل الذي جاء في مركز تقرير **الأكاديمية البريطانية**، وأعني مسألة الأهداف والوسائل. ولا نملك ونحن نقرأ التقرير إلا أن نأمل بأن تُرسى دعائم سياسة طموحة تمكن بريطانيا العظمى من تصحيح المسار ما دام ذلك ممكناً. ولكن التقرير متشائم عندما يتعلق الأمر بهذا الإجراء: فالسياسة التي تتبعها حالياً تمضي بما لا يدع مجالاً للشك في الاتجاه المعاكس. ويبدو أن هذا هو السبب الكامن وراء وصف هذا التقرير الذي اعتمد على دراسة أجرتها مؤسسة مستقلة[17] بأنه "موقف" يرمي في آن معاً إلى تنبيه الرأي العام (يمكن الاطلاع على التقرير مباشرة على موقع الأكاديمية) والحكومة الحالية. وحتى لو كان وضع بريطانيا العظمى خاصاً فإنها تظل على الأقل عضوا في الاتحاد الأوروبي، وإن سياسة هذا الاتحاد، كما ينبغي التنبيه عليه، مختلفة في مجال اللغات عن الرؤية التي جاءت في التقرير، لأن واحدة من الدعائم الأساسية لتلك

السياسة هي تشجيع **التعددية اللغوية**[1] والترجمة. إن الاتحاد الأوروبي الذي يواجه في رحاب مؤسساته نفسها مشكلات شبيهة بما يحدث في أمكنة أخرى في العالم مدعو إلى مواجهة التنوع بكل أشكاله سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو اللغوي أو الثقافي ليس عبر"الأورية" ولا عبْر ما هو أسوأ منها "المركزية الأوروبية". لذلك يمكن لعبارة أمبرتو إيكو Umberto Eco التي يكثر دورانها في الاقتباسات، "لغة أوروبا هي الترجمة" أن تتسع لتشمل إطاراً أكثر اتساعاً. وذلك بأن نضيف إليها لازمتين: في المقام الأول، اللازمة التي تتمثل في المطالبة في عرين الأكاديمية البريطانية أن يصبح العلم حقاً مكتوبا بلغات مختلفة، وذلك بتوفير الإمكانيات لتأهيل الشعب كله، وليس الباحثين فقط، للتعددية اللغوية. وينبغي بعيداً عن أي اعتبارات للمخصصات المالية البدء بالقول بكل بساطة إن "تعلم اللغات أمر له وزنه"[18] (اليونيسكو، 2008م) في عصر العولمة، بل إن ذلك في غاية الأهمية، وتعلم اللغات لا يعني بالطبع الإنجليزية وحدها، ذلك أن مقولة "كل شيء بالإنجليزية" تفضي إلى طريق مسدود (اليونيسكو، 2002م).

واللازمة التي تأتي في المقام الثاني هي أنه ينبغي التذكر، حتى في عالم مثالي يكون فيه البشر قادرين بداهة على الترجمة إلى اللغات كلها بفضل أجهزة بالغة التطور التقني، كما هي الحال في كثير من أفلام الخيال العلمي الهوليودية التي تحاكي معجزة عيد العنصرة[2] التي

---

1 plurilinguisme

2 **عيد العنصرة**، عيد مسيحي يحتفل به بعد عيد الفصح بخمسين يوما. ويقصد به حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح بعد صعود يسوع بعشرة أيام بحسب رواية سفر أعمال الرسل.

تلقى الحواريون بفضلها "هبة اللغات، ينبغي التذكر أننا لسنا بحاجة للانتظار إلى أن نمتلك مثل ذلك الجهاز لكي نتنبه أن الترجمة لا تكفي وحدها، بل إن معرفة هذه اللغة أو تلك لا يكفي أيضاً. ويرى (ولتون Wolton، 2009م) أن انعدام التواصل يمكن أن يحصل في رحاب اللغة الواحدة نفسها. فالبرازيلي والبرتغالي، والأمريكي والبريطاني، إلخ يتكلمان اللغة نفسها. ولكنهم ينتمون إلى مناطق ثقافية لا تتقاطع في كل جوانبها. ومسألة المستعصيات على الترجمة[1] (كاسان Cassin, 2004) تطرح نفسها هنا كما في أي مكان آخر: فالتعددية اللغوية والترجمة ليستا إلا وسيلتين وليستا غاية في حد ذاتهما. وعند هذه النقطة بالتحديد يأتي دور البحث ليتدخل ويصبح مسوغاً بكل ما تعنيه الكلمة: فهو وحده يسمح بالمباشرة في إعادة التموضع السياقية الضرورية لفهم عالم مدعو بالضرورة، وبوتيرة أعلى في كل يوم، إلى التعددية اللغوية، وليس إلى التخلص من التعددية اللغوية لمصلحة مقولة "كل شيء بالإنجليزية" -[19] وهذا ما يدعو إلى القول عَرَضاً: إن مهارات الترجمة ودورها قد تغيرا لذلك تغيراً جذرياً[2].

بيان النصوص المقدمة:

عرَّف لويس-جان كالفيه Louis-Jean Calvet ما سماه "مفارقة لغة المصدر المهيمنة" مستندا إلى موازنة أقامها بين العربية في القرن

---

1 intraduisibles

2 * غيديير، م. "المهارات الجديدة للترجمة" هرمس رقم 56و 2010م.
GUIDÈRE, M., "Les nouveaux métiers de la traduction", Hermès n56, 2010.

التاسع الميلادي (العربية التي أدت دوراً حاسماً في تكوُّن العلم المعاصر، عبر ترجمة النصوص الإغريقية والهندية على وجه الخصوص) وبين الإنجليزية اليوم. يقول: "يمكن القول بعبارة أخرى: إن الصورة المبالغ فيها للنظام الحالي يفضي في المقام الأول إلى حصول انطواء علمي أو ثقافي، وإلى انعدام المعلومة، وإلى النمطية التي يمكن لها في مرحلة لاحقة أن توجد إفقاراً في المركز نفسه لمصلحة الأقطاب في الضواحي"[1]. ولا نستطيع إلا أن نسلك مساره عندما يضيف: "إن وضع إستراتيجية للترجمة، ضمن جملة الاستراتيجيات اللغوية، يمكن لها وحدها أن تضمن تقدم العلم، وهذا يعني أن نعمل في الآن نفسه على ضمان انتشار المعلومة، وعلى جعل المنجزات مشتركة، ومقارنة المواقف المختلفة ونقدها؛ وهي جملة من الأشياء لا يمكن أن يحصل أي تقدم ملموس بدونها"(المصدر السابق). وتعدُّ النصوص الأساسية المضمنة في هذا الكتاب تمثلاً تاماً لمقولته.

[20] بيد أنه لا يكفي أن نقف في الصف المعارض لمقولة: كل شيء بالإنجليزية، ليَقَرَّ في أنفسنا أننا استعرضنا بذلك المسألة كلها. وهذا ما تظهره البحوث الثلاثة الأخيرة من هذه المختارات؛ البحوث التي تحاول تجاوز حدود أوروبا ويبدو من خلالها أن الترجمة لا يُنْظر إليها على أنها صيغة بديهية من صيغ نشر السلام[2] لا في الصين

---

1 *كالفيه، ل.-ج.، "الترجمة في مرشح الترجمات"، هرمس رقم 49، 2007م.
CALVET, L.-J., "La traduction au filter des traductions", ", Hermès n49, 2007.

2 فيلشيز. ل.، "التعايش الصعب بين الكتالانيين والكاستيلان:، هرمس رقم 56، 2010م.
VILCHES, L., "La difficile cohabitation du catalan et du castilan", ", Hermès n56, 2010.

(مقال Xu Hun)[1]، ولا في الفضاء الثقافي العربي (مقال فؤاد لعروسي وإبراهيم البلوي)، فضلا عن إفريقيا شبه الصحراوية الفرانكوفونية (مقال لالبيلا أريستيد يودا Lalbila Aristide Yoda): ولكن ما يظهر على الدوام من تلك المقالات هو أن الدفاع عن التنوع اللغوي وعن الترجمة هو أفضل سياسة لمواجهة آثار اللاتواصل[2].

لكل ما سبق كانت التعددية اللغوية والترجمة ركنا أساسيا من أركان المشروع الأوروبي منذ بداياته الأولى[3]: إنهما أكثر من أي وقت مضى موضوع الساعة كما يؤكد ذلك بإتقان المقال الثاني الذي شرفنا **ليونار أوربان** Leonard Orban بكتابته لينشر في المجلد الثاني من ملف **الترجمة والعولمة** (2010)–وذلك على كل المستويات: الثقافية، والسياسية، والاقتصادية. لقد أصبح مجال الترجمة في واقع الأمر واحدا

---

1 انظر أيضاً: هاردي، م.، لوي، هـ.، "ترجمة علوم الاتصال في الصين: مفهوم "شوان–بوكسو"، هرمس رقم 56، 2010م.
Voir aussi: HARDY, M., LUI, H., "La traduction des science de la cpmmunication en chine: le concept de "chuan-boxue"", ", Hermès n56, 2010.

2 ماكادو دا سيلفاو جزو "ترجمة وعولمة: ارتباط الثقافات، هرمس 56، 2010م.
MACHADO DA SILVA, J., "Traduction et mondialisation: la reliance des cultures". ", Hermès n56, 2010.

3 دون أن ننسى أوروبا الآخرى، أعني أوروبا الوسطىوالشرقية:نويكي، ج.، "التحديات الهوياتية للترجمة: كتاب أوروبا الآخرى"، هرمس رقم 49، 2007م.
Sans oublier l'autre Europe, c'est-à-dire l'Europe central et orientale: NOWICKI, J., "Les enjeux identitaires de la traduction: les écrivains de l'autre Europe", ", Hermès n 49, 2007.

من مجالات الاقتصاد التي ينبغي أن تشهد نسبة نمو قدرها عشرة أو تزيد عليها[1].

أما الحواران اللذان يقع بينهما مقال **أوربان** فإنهما يرسيان أسس المنظور على مستوى نظري، ولكن بأكثر معاني المصطلح صحة، ناهيك عن الدليل الحتمي على ذلك.

يتموضع الحوار الأول مع **بربارة كاسان** Barbara Cassin على مستوى[21] الفلسفة، مظهرا كل انحرافات الرؤية التبسيطية لمقولة: كل شيء بالإنجليزية[2]، وموضحا عدم الانسجام في أسسها المفهومية، من **غوغل** Google إلى **غلوبش*** Globish، مرورا بالتجارب الفاشلة للترجمة الإلكترونية[3] المتوافرة الآن "مباشرة".

---

1 انظر أيضاً مركز لغة التقنية (2009م). ظاهرة تترافق مع ذلك بجانب كبير من عدم المساواة في الموارد حسب الفئات التي توضع في الحسبان: دوبير، ت.، "مترجمون وأسواق والجمعيات الحرفية: مقاربة تجريبية"، هرمس رقم 56، 2010م.

Voir également LTC(2009). Phénomène qui s'acompagne, cependant, par une grande inégalité de revenus selon les categories considérées: DWYER, T., "Traducteurs, marches et associations professionelles: approaches empiriques", ", Hermès n 56, 2010.

2 لا يعني هذا أنه ينبغي تماما وببساطة التخلي عن الترجمة الآلية، بل إن العكس هو المطلوب: برادو، د.، "الترجمة المؤتمتة: حالة اللغات الرومانية"، هرمس رقم 56، 2010م.

Non que la traduction automatique soit à rejecter purement et semplement, bien au contraire: PRADO, D., "La traduction automatiisée: le cas des langues romanes", Hermès n56, 2010.

3 لوكلير-أوليف، م.، أزمة مالية وفضاء عام: ترجمة الكلام الارتجال" هرمس رقم 56، 2010م.

LECLERC-OLIVE, M., "Crise financier et espace publique: traduire le langage de l'aliatoire", ", Hermès n56, 2010.

أما الحوار الثاني مع الفيزيائي **جان مارك ليفي–لوبلون** Jean-Narc Lévy-Leblond فهو نظير تام للحوار الأول، ولكنه هذه المرة على مستوى العلوم التي تسمى"الصحيحة": هذه العلوم التي تحتاج، بعكس الفكرة المتمكنة في الأذهان تمكناً كبيراً، إلى أن تكون بلغات مختلفة، وبالترويج للترجمة بكل أشكالها شأنها في ذلك شأن العلوم الإنسانية[1]. إنها ضرورة تزداد أهميتها في عالم ينتقل فيه أكثر فأكثر مركز الثقل نحو الجنوب ونحو آسيا.

إن العرض الذي يحيط بجوانب مسألة بهذا الاتساع يتجاوز إطار مختارات، بل إطار مجلدي مجلة هرمس اللذين اخترنا المقالات منهما، المجلدان اللذان استنفرنا لهما فريقا دوليا بلغ عدد أعضائه ما يقارب خمسين من المختصين الذين ينتمون إلى أكثر المجالات تنوعاً. لم يدهشنا ذلك ولم يحزنا، بل على العكس: كان ذلك دليلا على أن الحقل الذي نسبره هو مجال لبحوث بينية هي في ازدهار كبير.

إن هدف هذه المختارات هو في الوقت نفسه موغل في التواضع والطموح: إعطاء الباحثين وجمهور أكثر اتساعا الأدوات الأساسية[22] لتناول دراسة مسألة معقدة، ولكنها مسألة لا يستطيع أحد من الآن فصاعدا تجاهل مداخلها ومخارجها– وتقديمها تقديما واضحا وصارما ومفهوما في آن معاً.

---

1 لازلو، ب.، "لتكون علميا، فذلك يعني أن تتعلم ترجمة عبارة الأشياء"، هرمس رقم 56، 2010م.

LASZLO, P., "Être scientifique, c'est apprendre à traduire la parole des choses" ", Hermès n56, 2010.

مراجع توثيقية:

- CASSIN, B., (dir.) Vocabulaire européen des philosophies. Dectionnaire des intraduisibles, Paris, Le Robert/Le Seuil, 2004.
- Déclaration universelle de l'Unesco sur la diversité culturelle, Paris, Éd. De l'Unesco, 2002.
- GLASSANT, É., Introduction à une poétique du divers, Paris, Gallimard, 1996.
- GRADDOL, D., The future of English? A guide to forecasting the popularity of the English language in the 21st Century, the British Council & The british Company(UK) ltd, 1997 (nlle éd., 2000). En ligne sur <http://www.britishcouncil.org/learning-elt-future.Pdf>.
- GRADDOL, D., English Next. Why Global English may Mean the End of "English as a Foreign Language", The British Council & The british Company(UK) ltd, 1997 (nlle éd., 2007). En ligne sur <http:// www.britishcouncil.org/learning-elt-future. Pdf>.
- Language Matters. A Position paper, British Academy, Londres, 2009. En ligne sur <www. Britac.ac.uk/reports/language-matters/index.cfm>.
- LTC (language Technology Centre), Study on the Size of the Language Industry in the EU [Étude sur la taille de l'industrie linguistique dans l'UE], réalisée pour la direction Générale de la traduction (DGT), Commission européenne, 2009. En ligne sur http://ec.europa.eu/dgs/translation/publications/studies/size_of_language_industry_en. pdf.

- Les Langues, ça compte, Le courier de l'Unesco, n1, 2008.
- MORIN, E., Introduction à la pensée complexe, Paris, Le Seuil, 1990.
- WOLTON, D., L'autre mondialisation, Paris, Flammarion, 2003.
- WOLTON, D., Informer n'est pas communiqué, Paris, CNRS Édition, 2009.

ما تستعصي ترجمته والعولمة

بربارة كاسان
Barbara Cassin

حوار أجراه ميخائيل أوستينوف
مأخوذ من العدد رقم 49 من مجلة "هرمس"
الترجمة والعولمة، 2007م.

أنت تقتبس في كتابك[1] (غوغلني. المهمة الثانية لأمريكا) قول هُمبولت **Humboldt**: "إن أغلبية اللغات بعيدة كل البعد عن أن تقتصر على تعدد طرقها في الإشارة إلى شيء ما؛ إن لها أيضاً منظورات مختلفة لذلك الشيء نفسه، وعندما لا يكون الشيء علماً على معانٍ ملموسة فإننا حينئذٍ، في أغلب الأحيان، أمام كثير من الأشياء التي يصوغها كلٌّ على هواه."[2] هل يجد هذا الاقتباس طريقه للتطبيق اليوم في عصر العولمة؟

---

1 Cassin B. Google-moi. La deuxiéme mission de l'Amérique, Paris, Albin Michel, 2007

2 Von Humboldt, W., "Fragment de monographie sur les Basques" (1822), traduit dans p. Caussat, D. Adamski, M. Crépon, La Langue source de la nation, Mardaga, 1996, p. 433.

– نعم، بكل تأكيد. وقابليته للتطبيق اليوم لا تزيد ولا تنقص عنها في عصر **همبولت**. إننا على الدوام نتكلم ونفكر باللغة. واللغات ليست متطابقة. وعندما نفترض أنها كذلك فإنها تسخر[26] منا. مثال واحد على ذلك. اذهبوا إلى غوغل، إلى باب "ترجمة هذه الصفحة". وستكون النتيجة آسرة. انطلقوا من عبارة الكتاب المقدس"وخلق الله الإنسان على صورته"، ثم ترجموها إلى الإنجليزية فتكون النتيجة " And God created the man with his image". وهكذا دواليك حتى تحصلوا على ترجمة ثابتة. حينئذ ننتقل إلى عبارة "وخلق الله الإنسان مع صورته". إن هذه العبارة مختلفة اختلافاً بيِّنا عن العبارة التي انطلقنا منها! وإذا اتبعنا الإجراء نفسه انطلاقاً من الألمانية ننتهي إلى عبارة مفادها" وخلق الإنسان على شاكلته إلهاً"، التي هي عبارة تحمل كل مظاهر الإساءة إلى الدين.

هل يبيح ذلك القول: إنه ليس للترجمة الآلية في واقع الأمر إلا قليل مَن الأهمية نظراً للحدود التي وضعتها؟

– لا، العكس هو الصحيح. تعد الترجمة الآلية في عصر **العولمة*** موقع عمل ضخم، وذا أهمية كبيرة. ففي المقام الأول تسمح الصعوبات التي تواجهها الترجمة الآلية بالبرهنة برهنة لا لبس فيها أنَّ اللغات لا يغني بعضها عن بعض. وليس موقع غوغل في واقع الأمر حالة معزولة ألبتة: فالاتحاد الأوروبي عل سبيل المثال يستخدم برنامج الترجمة الإلكترونية **سيستران** Systran الذي يعد اليوم[27] أكثر برامج الترجمة الآلية كفاءة. كيف يتفادى ذلك البرنامج المعاني المتعاكسة المتواصلة التي فرغت للتو من الحديث عنها؟ وإذا كانت عبارة "وخلق الله الإنسان على صورته" تحدث ما أشرت إليه من الإرباك فإن سبب ذلك يعود على وجه

الخصوص إلى تعدد التفسيرات الممكنة لحرف الجر "على": إن نقطة الانفلات في الترجمة تُعزى في واقع الأمر، على الدوام إلى المجانسة التي تترسخ من وجهة نظر تركيبية أو سيميائية.

ونخلص من ذلك إلى أن الترجمة الآلية تتجاوز العائق باللجوء إلى الملفوظات "غير الملتبسة"[1]، وهذا ما لا نعرفه على الدوام إذا استخدمنا "لغة محورية" وحيدة، أي الإنجليزية. ولكن المقلق كما تقول صيغة جاك لاكان Jacques Lacan الجميلة: "إن أي لغة من اللغات ليست أكثر من مجموعة الالتباسات التي سمح تاريخ تلك اللغة لها بالتمكن فيها"[2].

ولكن، كيف نفعل حينئذٍ "لإزالة اللبس" عن ملفوظ ما؟

-هنا أيضاً، أكتفي بضرب مثل، هو حالة فعل "الكون"؛ وهو فعل متعدد المعاني بامتياز، ونعلم أهميته للفلسفة اليونانية على وجه الخصوص ولثقافة "العالم الغربي" على وجه العموم. إن ما ذكرناه يدعو في واقع الأمر إلى التساؤل كيف السبيل إلى إزالة اللبس عن to be، عندما نستخدم الإنجليزية بوصفها لغة محورية؟ لفعل ذلك، يكفي اللجوء إلى وورد نت WordNet (البرنامج[28] الذي وضعه مخبر الذكاء الإدراكي في جامعة برنستون)* الذي يعرض لنا لذلك الفعل ما لا يقل عن ثلاثة عشر معنى مختلفاً، ليست متسلسلة، ويغطي بعضها

---

1 Désambigüer=أزال اللبس: عن معنى كلمة أو عبارة. على سبيل المثال كلمة "hôte" تتناسب في الوقت نفسه مع "host" المضيف ومع "guest" الضيف في الإنجليزية، فهي كلمة ملتبسة في تلك اللغة على عكس ما هي عليه بالفرنسية.

* laboratoire d'intelligence cognitive de l'université de Princeton

2 Lacan, J., Scilicet, n4, Paris, Seuil, 1973, p. 47.

بعضاً جزئياً في بعض الأحيان، ولكن دون أي نظام تتابع يمكن فهمه. وبذلك نجد معنى الرابطة في المعنى الأول، ومعنى الهوية في الثاني، ومعنى الوجود في الرابع ("Is there a Gode?")، في حين أن معنى الكون المكان يأتي في المعنى الثالث، وفي المستوى نفسه نجد معاني دقيقة جداً (المعنى التاسع "جسد" ديريك جاكوبي كان هاملت Derek Jacobi était Hamlet)، أو معاني موغلة في التعبيرية (المعنى العاشر" قضاء الوقت أو أخذ الوقت": "may be one hour") إلخ. إن نتيجة كل ذلك هي بالطبع مشكلة: إن اللغات الطبيعية يجري تبسيطها بوتيرة عالية لجعلها تسير في ركاب لغة مفهومية حيادية، هي في حقيقة أمرها لغة موغلة في المصطلحية، لغة تكون مجرد وسيلة تبادل. إن العمل المتعدد اللغات، شأنه شأن أعمال الترجمة، حاضر حضورا طاغيا في غوغل يتأرجحان معاً في واقع الأمر حول لغة واحدة ووحيدة، الإنجليزية، أو بدقة أكثر الإنجليزية الكونية Globish.

تستشهد في كتابك بقول داليمبير:d'Alembert "قبل نهاية القرن الثامن عشر، كان ينبغي على الفيلسوف الذي يريد التبحر في مكتشفات أسلافه أن يشحن ذاكرته بسبع أو ثماني لغات مختلفة؛ وبعد أن ينفق حياته في تعلم تلك اللغات يموت قبل أن تبدأ عملية التبحر. إن استخدام اللغة اللاتينية التي أظهرنا قصورها في مجالات التذوق هي ذات فائدة كبيرة[29] في كتب الفلسفة التي ينبغي أن يكون للوضوح والدقة المكانة العليا فيها، تلك الكتب التي لا تحتاج إلا للغة كونية بالمواضعة"[1]. ألا

---

* إن هذا البرنامج محمل على موقع
http://wordnet. Princeton.edu/obtain#win

1 D' Alembert, Encyclopédie, Discours préliminaire, p. 143.

تحتفظ هذه الحجة بكامل مصداقيتها اليوم، عبر اللغة الإنجليزية التي حلت محل اللاتينية؟

إنني أدعو إلى تصور آخر مختلف عن اختلاف اللغات والتعددية اللغوية. إن المعجم الأوروبي للفلسفات[1]، وهو معجم أشرفت عليه، يبرهن كل البرهنة على عكس ما يدعيه **داليمبير** تماماً، بدءاً من الفكرة القائلة إننا لن نحتاج في كتب الفلسفة إلا "للغة كونية بالمواضعة". يمكننا أن نضرب من جديد مثل فعل الكون الفرنسي "être"، الفعل الذي وصفه شلايرماخر Schleiermacher بأنه "الفعل الأول"، مضيفين أن اللغة "أضاءت (حتى هذا الفعل) ومنحته قواماً"[2]. ولكن البرهنة تسري في الواقع على كل مداخل معجم ما يستعصي على الترجمة: هل نفهم من كلمة mind ما نفهمه من كلمة Geist أو كلمة esprit؟ هل تعني كلمة برافدا Pravda الحقيقة أو العدالة؟ وهل تعني كلمة ميميسيز mimêsis التمثيل أو المحاكاة؟

إن الحديث عن المصطلحات التي لا يمكن ترجمتها لا يعني ألبتة أن تلك المصطلحات لا يمكن ترجمتها، ولكنه يعني أن ما يستعصي على الترجمة هو ما نستمر في الانصراف عن ترجمته كما بينت ذلك في التقديم. ليست الكلمات، ولا الشبكات ولا المصطلحات، ولا القواعد، ولا التراكيب هي التي لا يمكن، عند الانتقال من لغة إلى

---

1 Le Vocabulaire eurppéen des philosophies. Dectionnaire des intraduisible, Paris, Seuil et le Robert, 2005.

2 Schleiermacher, F. D. E., "Über die verschiedenen Methoden des Übersetzens", in F. Schleiermachers sämtliche Werke, tome 3, Zur Philosophie, vol. 2, Berlin, Reimer, 1838, p. 207-245: des différentes methods du traduire, trad. En français par A. Berman, Paris, Seuil, coll. "Point bilinges", 1999, p. 83.

آخرى،[30] أن يحل بعضها مكان بعض، بل إن مثل تلك الاختلافات ليست مصدر غموض في السياق ينبغي بأي ثمن "إزالته بوساطة لغة كونية مكتفية بمجرد عبارتها، ولكن تلك الاختلافات هي على العكس مصدر غنى؛ لأن كل لغة هي بمثابة شبكة جديدة تنسدل على العالم. وإن الإنجليزية ليست استثناء في وجهة النظر هذه.

ماذا تريد القول من خلال ذلك؟

-أريد القول: إنه لا ينبغي أن نخلط بين لغة الخدمة ولغة الثقافة. وإن مثال غوغل دال كل الدلالة في هذا المجال لأنه يروج للإنجليزية الكونية بوصفها نموذجا للتواصل الكوني. وفجأة تصبح اللغات الأخرى لهجات بالنسبة إلى هذه اللغة: وهذه حال الفرنسية والألمانية، إلخ. ولكنها أيضا حال إنجليزية شكسبير وجويس! وإن موقعا مثل موقع ويكيبيديا Wikipédia هو خير مثال على ذلك: صحيح أن هذا الموقع ينصرف إلى لغات عديدة، ولكنه يجعل من التوافق برنامج عمل له. إن هذه الموسوعة الإلكترونية التي يقال إن كل فرد حر في تغييرها إبَّان مرحلة تكونها توظف في الحقيقة الرأي doxa في مواجهة المسابقة âgon، وبعبارة آخرى الرأي الشائع ضد مواجهة الأفكار. والأمر نفسه ينطبق على غوغل بوصفه محرك بحث: إن تسلسل المعطيات المتوافرة على الأنترنت يتم انطلاقاً من خوارزمية ترتيب الصفحات التي ترتب صفحات الموقع حسب معايير [31] كمية محضة. ولكن هل الكمية تنتج آليا النوعية؟ إن التفكير الحقيقي يتعارض مع مثل تلك المقدمة المنطقية، وينطبق الأمر ذاته على اللغة: لا يمكن لجانب كبير من البحث في الفلسفة أو في العلوم الإنسانية أن يُنجز عبْر لغة نفعية خالصة. وفي خطوة معاكسة ينبغي تولي

الدفاع عن الإنجليزية بوصفها لغة ثقافة كما ندافع عن اللغات الأخرى بهذه الصفة.

إن مشروع "علم اجتماع الترجمة"[1] الذي أُطلق بمبادرة من "مجلس المجتمعات الأمريكية"[2] يشاركك الرأي على ما يبدو. فهو ينتهي بـ "مرافعة مفادها أنه ينبغي على الباحثين أن ينشروا بلغتهم الأصلية"، ويمكن على وجه الخصوص أن نقرأ في تلك المرافعة: "إن صيغ التفكير والحجاج الخاصة بالعلوم الإنسانية في الفلك الأنجلو-أمريكي أصبحا المقياس الذي ينبغي أن تلتزم به كل أنماط الصياغة المفهومية. وينتج عن ذلك نمطية وإفقار متزايدين في الخطاب"[3]. وإنه لمن البديهي أن مثل هذا المشروع لا معنى له إلا إنْ وفرنا للترجمة الإمكانات المناسبة.

-إنه مشروع رائع، أعرفه حق المعرفة. أما فيما يتعلق بالترجمة فأضيف أن *المعجم الأوروبي للفلسفات* في سبيله الآن إلى الترجمة، أي في سبيله إلى أن يجري تكييفه في عدد [32] من اللغات، والإنجليزية على وجه الخصوص، وأخطط عند إنجاز تلك الترجمات للقيام بدراسة مقارنة لتلك النسخ المختلفة.

ينبغي لـ "معجم ما يستعصي على الترجمة"، بحكم تعريفه، أن يطرح كل أنواع المشكلات على المترجمين!

---

1 Le projet "Social Science Translation Project

2 L'American Council of American Societies

3 Recomandations pour la traduction des textes humaines, trd. En français par B. Poncharal, New York, American Concil of learned Societes, 2006, p. 30.

– بالطبع. إن تلك المشكلات تطرح نفسها طرحاً يختلف باختلاف اللغة المعتمدة. ولكن أكثر المظاهر أهمية هو أننا لا نغير اللغة فقط، ولكننا نغير **اللغة الواصفة**[1] métalangue. ولعلنا نتمثل الأشياء تمثلاً أفضل عندما نذهب على سبيل المثال إلى موقع النسخة الإلكترونية **للمعجم الأوروبي للفلسفات**[2] التي نُشرت في إطار مشروع (التراث الثقافي الأوروبي ECHO)[3]. ولنأخذ على سبيل المثال المدخل الذي يتضمن الكلمة الألمانية "Bild". نجد فيه لها أكثر الترجمات انتشاراً "صورة"، ولكننا نجد أيضاً "لوحة"، و"شكلاً"، و"وجهاً"، والكلمة اليونانية "eidolon"، والكلمتين اللاتينيتين "imago" أو "species" إلخ. ليس للكلمة في واقع الأمر قيمة في حد ذاتها، ولكنها تستمد قيمتها من الكلمات الأخرى التي تشكل معها نظاماً. لذلك نجد أن كلمة (Blid) مربوطة بـ (Urbild) و(Abbild) (موديل، ونموذج، وسلسلة)، وبـ (Bildung) (تكوين، ثقافة) وبـ (Einbildungskraft) (الخيال) إلخ. لا يمكن لهذا القسم من المدخل أن يجري تصوره بالطريقة نفسها على اعتبار أن اللغة الواصفة هي الفرنسية، كما هي الحال هنا، أو الألمانية على سبيل المثال، وهي لغة تتقاطع فيها اللغة واللغة الواصفة![33] إن كلمة (Blid) تعاد موضعتها فيما بعد في سياق ترجمة العهد الجديد التي أنجزها لوثر Luther، وهي ترجمة يضعها الناس بموازاة الترجمة الأصلية (الفولغاتا

---

1 "Métalangue": langue don't on sert pour parler de la langue et l'analyser. Par exemple, les definitions d' un dictionnaire sont de la métalangue. Sans celle-ci, aucan mot n'est définisable.

2 Le Vocabulaire eurppéen des philosophies (VEP), en ligne sur: <http://robert. bvdep.com/public/vep/accueil.html>

3 European Culturel Heritage

La Vulgate). وهنا أيضا يكون من المستحيل مباشرة الأمر بالطريقة نفسها؛ أي الطريقة التي نستخدم فيها الفرنسية أو الألمانية أو الأوكرانية، أو الروسية أو الفارسية لغة واصفة... ومن هنا تنبع أهمية كون بعض الترجمات صدى لبعضها الآخر.

أود الوقوف عند هذه النقطة بالتحديد، هناك في "المعجم الأوروبي للفلسفات" لغات "أوروبية" ولكننا نجد العربية حاضرة فيه أيضاً...

-نعم، كان ذلك أمراً لا يمكن الاستغناء عنه. بدءاً من القرن التاسع الميلادي كان التراث الإغريقي ينتقل إلى أوروبا بوساطة اللغة العربية، إنها بالنسبة إلى أوروبا لغة عبور، شأنها في ذلك شأن العبرية. إنهما لغتان تحتلان مكانا في حضن ما أسميه لغات التاريخ الأوروبي إلى جانب السنسكريتية والإغريقية واللاتينية. إن مسألة اللغات في أوروبا تقتضي في واقع الأمر أن تؤخذ في الحسبان في كل جوانب تنوعها. وإذا كان هناك لغات "داخلية" في أوروبا لم تصبح لغات قومية أو رسمية في خارج أوروبا كالهنغارية، فإن هناك لغات أخرى كالإنجليزية والإسبانية والفرنسية أصبحت لغات التوسع والهجرة الأوروبية. إن لغات أوروبا تتجاوز كما نعلم بمسافة بعيدة حدود [34] أوروبا. إن لغات الهجرة هي لغات توضع في المرتبة الثانية سواء أكانت من قبلٍ أوروبية أم لا. والحال أن لغات مثل البرتغالية والعربية والصينية هي لغات موجودة على نطاق واسع في بلد مثل فرنسا. إن ذلك ثروة ثقافية لا تقدر بثمن، ثروة ينبغي كما يبدو لي من الضروري الاعتماد عليها. وهذه، على سبيل المثال، وجهة النظر التي اعتمدها أيضاً **إكزافييه نورث** Xavier North ، المفوض العام للغة

الفرنسية وللغات فرنسا[1]. هذا من جهة، وإن العولمة تجعلنا من جهة أخرى على احتكاك مع أكثر اللغات تنوعاً، وعلى وجه الخصوص لغات القوى التي تحتل على المسرح العالمي مواقع يتوقع لها أن تتوطد يوماً بعد يوم: وينطبق هذا على الصينية أو الهندية أو العربية. لذلك تتناقص إمكانية الاعتماد على رؤية تقليدية لأوروبا تتمركز حول نفسها. ذلك هو السبب الذي يجعلني أولي أهمية كبيرة لقضية أن لا يُكتفى بترجمة كتاب ككتاب "المعجم الأوروبي للفلسفات" إلى اللغات "الأوروبية" وحدها، وهذا بعمومية أكثر السبب الكامن وراء مناصرتي للتعددية اللغوية.

إذن، إن أوروبا بالنسبة إليك هي في العمق متعددة اللغات؟

–إن أوروبا حالة بابلية. وإن ذلك ميزة وليس إعاقة، على عكس ما يزعم[35] أنصار كل شيء بالإنجليزية. وإذا كنا نعدُّ اللغة هي مجرد أداة "للاتصال"فإن داليمبير في هذه الحالة على حق: إنه من غير المجدي أن نجهد أنفسنا لتعلم عدد من اللغات. لغة واحدة تكفي عندها لكل الاستخدامات، وفي هذه الحالة لماذا لا تكون اللغة المقصودة هي الإنجليزية؟ إن هذا واقع منذ زمن، وهي، لأسباب متعددة، اللغة المسيطرة. ولكن التعددية اللغوية، ناهيك عما يقوله نيتشة Nietszche من أن كل لغة "مهمة في ذاتها"، هي جزء لا يتجزأ من الهوية الأوروبية. ونتذكر هنا الشعار "الدولي" الذي صُمِّم عام 2007م بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاما على معاهدة روما (Tögether since 1957)، وما أثاره ذلك الشعار من ردود وأفعال

---

1 Voir le dossier Bataille pour le français sur le site <http;/www.adpf.asso.fr/adpf-publi/folio/bplf/index.html>

سلبية باعتبار أنه يرمز إلى انتصار الإنجليزية الكونية التي جرى تنصيبها لغة وحيدة، أما اللغات الأخرى فإنها لا تظهر إلا على شكل لهجات (غوغل يسميها مذاقات) تقع في أخطاء إملائية. هذا من جهة، وإن ذلك مخالف لسياسة الاتحاد الأوروبي كما مارسها جان فيغيل Ján Figel المفوض الأوروبي المسؤول عن التعليم والتكوين والثقافة والتعددية اللغوية، ومنذ عام 2006م كما مارسها ليونار أوربان Leonard Orban، المفوض بحقيبة واحدة هي التعددية اللغوية (وأشير عرَضاً أنني أنتمي في الاتحاد الأوروبي الآن إلى فريق على مستوى عال يعمل على التعددية اللغوية أسسه جان فيغيل). إن ما ذكرته لا يعني بالطبع أن يتعلم المرء كل اللغات، ولكن أن يشجع على معرفتها، وهما أمران مختلفان.

ما الإجراءات التي توصون باتخاذها؟

-إنه من المستبعد بالطبع أن أجيب هنا عن مثل هذا السؤال إجابة جامعة. سأكتفي بالإشارة إلى بعض من النقاط التي تبدو لي أكثر أهمية. أشير في المقام الأول إلى ما يخص اللغة الإنجليزية التي لا يمكن إنكار أهميتها التي تعود إلى وضعها بوصفها لغة عالمية. هل ينبغي أن ندرِّس لغة الخدمات (دون أن نعبأ بالاسم الذي نطلقه عليها "لغة الحياة اليومية" "لغة نقل"، لغة عالمية[1] ، إلخ) أو لغة الثقافة؟ أرى أن ندرس اللغتين معاً. إذا لم نتعلم إلا لغة "التواصل" فإننا نتعرض لعقوبة مزدوجة: لأننا نتواصل بلغة فقيرة ولأننا نتكلمها بجودة أقل من الناطقين بالإنجليزية الذين تتدعم لديهم بوصفها اللغة الأم ولغة

1 بالترتيب: Langue véhiculaire، Lingue de transmission، Lingua franca.

الثقافة. والحالة أن هذا بالطبع ما نجد في أنفسنا ميلا إلى فعله اليوم. إن ما ينطبق على الإنجليزية ينطبق بالطبع على اللغات الأخرى، بيد أنه (وهذا هو الأمر الثاني الذي أود التركيز عليه) ينبغي أيضاً أن نتعلم تطوير المعارف الكامنة passive. وعلى ذلك، يمكن القول: إن تعلم اللغة اللاتينية يسمح لي بتكوين معرفة كامنة passive جيدة للإيطالية والإسبانية والبرتغالية (على عكس اللغة الهنغارية على سبيل المثال). ويصح الاستدلال نفسه على اللغات الجرمانية، واللغات السلافية، إلخ. ويبدو لي على وجه الخصوص أنه من المستحسن كل الاستحسان أن يكون [37] أي عمل "باللغة التي تحولت إلى لغة داخلية" (لغة المهاجرين، ولغة الجوار القريب، إلخ) متاحاً بطريقة نستطيع معها أن نجني منه معرفة كامنة passive على الأقل. ويذهب بي التفكير هنا إلى اللغة العربية في فرنسا على وجه الخصوص. وأخيراً ينبغي أن لا ننسى تعليم لغات القوى العالمية الفاعلة التي أصبحت اليوم هي: الصين والهند واليابان. ويضاف إلى ما سبق بُعْدٌ لا يقل أهمية وهو: تطوير التدريب **مدى** الحياة، وهو تدريب يُظْهر أن لمفهوميْ المعارف الظاهرة والمعارف الكامنة في واقع الأمر بُعْداً هندسياً متغيراً. هذا فيما يخص اللغات.

ولكن هناك أيضاً جناحاً آخر (الترجمة).

–تماماً. الترجمة وبالتالي النشر هما مجالان يعدان مفتاح التعددية اللغوية. وكما عبر عن ذلك ببراعة وروعة أمبرتو إيكو Umberto Eco عندما قال: "إن لغة أوروبا هي الترجمة". وآية ذلك أنه لا يمكن للمرء أن يتعلم كل اللغات التي يتكلمها مواطنو الاتحاد الأوروبي. إذنْ، تؤدي الترجمة دورا جوهريا. وهنا أيضاً أكتفي بذكر بعض الملاحظات.

أود على وجه الخصوص العودة إلى مسألة الترجمة الآلية. إنه لمن المنطقي أمام موجات الترجمات التي تتضخم شيئاً فشيئاً أن تزداد نسبة الترجمة التي تستعين بالحاسب[38]. بيد أنه لكي نترجم اليوم من الفرنسية إلى الصينية نمر عبر الإنجليزية التي أزال غموضها **برنامج وردنت** WordNet، مع كل الصعوبات الرئيسة التي ترافق ذلك مما سنحت لنا الفرصة للإشارة إليه من قبل. إذنْ، سيكون من المفيد، لكي لا نقول إنه من المستعجل أن نسعى إلى المرور مباشر من لغة إلى أخرى، وبعبارة أخرى من مجموعة من الالتباسات إلى مجموعة آخرى من الالتباسات، محاولين بوتيرة متصاعدة نمذجة العمل الذي يقوم به المترجمون في كل أبعاد تعقيداته. إن ما ذكرته اتجاه في البحث ذو أهمية رئيسة.

ينبغي كما أفترض دعم الأشكال الأخرى للترجمة.

-بالطبع. ومن أجل هذا ينبغي على أوروبا أن توفر الإمكانات لسياسة طموحة.، وأن تحصر الكتب التي من الضروري ترجمتها- مكتبة بالنواقص-، وأن توجد أشكال التآزر الضرورية بين مختلف الأطراف الفاعلة، بما في ذلك الجانب المالي لكي تتم الترجمات على وجه السرعة، وخصوصاً فيما يخص الكتب الأمات، وينبغي تطوير النشر المشترك بين الناشرين في البلدان المختلفة، إلخ. وأود التركيز على مسألة هي: مسألة النشر الثنائي اللغة. وآية ذلك أن مجرد وقوع البصر على لغة أصلية يُحْدِثُ على الفور تآلفاً يساعد على حصول وعي بأنه لا يمكن استخدام بعض اللغات عوضا عن بعض[39]. إن الكتب الثنائية اللغة، وعلى وجه الخصوص الكتب التي تحتوي على عناصر تسمح بمقارنة اللغة الأم باللغة الأجنبية (الشروح، التعاليق، المسرد،

إلخ) هي أدوات مدعوة لأن تؤدي دورا جوهريا في تعليم الثقافات في أوروبا. إنها، الكتب الثنائية اللغة، إضافة، وأدوات من الطراز الأول في خدمة الفهم الكامن. وأفكر في النصوص الأدبية والفلسفية أو كتب العلوم الإنسانية، ولكن أيضاً بنصوص أصول القوانين على سبيل المثال: تلك الكتب التي سنرى فيها كيف انتقلت مصطلحات الحقوق الرومانية فأصبحت مصطلحات قوانين عامة، لأن "الحقوق droit" و"القانون loi" ليس لهما المفهوم نفسه الذي تحمله كلمتا "right" و"law"، إلخ.

إنها عدد من الحالات التي لا يمكن ترجمتها، حالات يحتويها المعجم الأوروبي للفلسفات، ولكن الإشكالية نفسها تنطبق على بيئات ثقافية آخرى. إنها حالة مفهوم "Ubuntu"، الحاضرة في الدستور المؤقت لجنوب إفريقيا، وهو مفهوم وضع عام 1993م في سياق إلغاء سياسة التمييز العنصري، وتحدثتم عنه في واحدة من مُقالاتك[1]. هل يمكن أن تقول لنا بعض الكلمات في هذا الصدد؟

–هو مفهوم أدى دورا مركزياً في تقرير لجنة الحقيقة والمصالحة الجنوب إفريقية، ولا يمكن ترجمته: لذلك نجده باطراد بلا تغيير في النسخ الإحدى عشرة لذلك[40] الدستور التي تتوافق مع الإحدى عشرة لغة القومية في إفريقيا الجنوبية، تلك النسخ التي يتم فيها تأكيد الحاجة إلى الـ Ubuntu وليس للثأر، وإلى التضحية. إن هذه الكلمة

1 Cassin B. "Amnistie et prdon: pour une ligne de partage entre éthique et politique" Le Genre humain, n43, Cassin B., Cayla, Salazar, p.-J', (dir.), Vérité, reconciliation, reparation, Paris, Seuil, hiver 2004.

التي تنتمي إلى **لغات البانتو**[1] Bantu تعني "ميزة أن تكون شخصاً مع أشخاص آخرين"، وهو ما تختصره **أنتي كورج** Antie Korg ببراعة بالقول: "نحن موجودون، إذن أنا موجود"[2].

لقد أشرت في المقالة التي تذكرينها إلى الكتابة الحائطية الموجودة على الجدار الخارجي للبيت الذي يسكن فيه **ديزموند توتو** Desmond Tutu في مدينة **كاب تاون** Cape Town:

How turn human wrongs into human rights

لأن الثنائية "wrong"/ "right" لا تنقل بالضبط الثنائية "الخطأ tort" و"حق droit" (لأنها تعني أيضاً "الخير" و"الشر"/ "الجيد" و"المزيف"/ و"الصحيح")، وقد استعيدت في المقالة أيضاً المفاهيم اليونانية alêtheia (الحقيقة) وaidôs (الحياء) أو dike (العدالة).

إذنْ، إن المسألة ليست مسألة الانغلاق في نطاق ثقافي محدد، والترجمة بالتحديد هي واحدة من أفضل طرق المعالجة في هذا المجال. لذلك عرض الإثنولوجي (عالم الأعراق) **موريس غودلييه** Maurice Godelier في إطار مشروع الـ ECHO الذي سبق ذكره، مجالاً جديداً: هو المكونات غير الأوروبية للتراث الثقافي لأوروبا[3]. إن هذا المشروع الواسع الذي أسسه معهد **ماكس بلانك في برلين والمجلس**

---

1 Langues bantu" (ou "langue bantoues"): famille regroupant environ 400 langues parlées dans une vingtaine de pays de la moitié sud de l' Afrique. Par ex.: doula, kikongo, "Swahili, xhosa, zoulo, etc.

2 Voir Cassin b.," "Romoving the perpetuity of hatred": on ,South Africa as a model example" International Revieu of the Red Cross, vol. 88, n 862, juin 2006, p. 236.

3 Voir Case Study 5: Non-European Components of European Cultural Heritage, en ligne sur <http://echo.mpiwg-berlin.mpg.de/home/project/pilotphase/case_studies#Anchor-CS5>

الأوروبي[1] لا يمكن أن يقتصر على إبراز التراث "الأوروبي" بمفرده: تحتل الترجمة فيه مكاناً مهماً كل الأهمية.

1 L' institute Max Planck de Berlin et la Commission européen

[43] مسألة اللغات والترجمة في صلب سياسات الاتحاد الأوروبي

ليونار أوربان
Leonard Orban

مأخوذ من العدد 56 من مجلة "هرمس"
الترجمة والعولمة، مج. 2، 2010م.

إن آلاف الأشخاص من جنسيات مختلفة يعملون كل يوم معاً في مؤسسات الاتحاد الأوروبي، يحدوهم أمل الإسهام في التقدم الاقتصادي والاجتماعي لأوروبا، وتشجيع جوانب التنوع لدينا في حضن اتحاد متماسك. وفي اللحظة ذاتها يجري في بلداننا الأعضاء في ذلك الاتحاد منا قشة اتفاقيات دولية والتوقيع عليها، وهناك منتجات وكتب وأفكار تعبر الحدود، وهناك طلاب من جنسيات مختلفة يتابعون دراسات مشتركة في الجامعة، وتتعدد التبادلات على اختلاف أنواعها...

إن أوروبا التي تشكل "فضاء بلا حدود داخلية" أطلت برأسها [44] في حياة كل منا. و"الوصفة السحرية" لتعاضدنا ليست لغة مشتركة تحرم أوروبا من ثروتها الثقافية، وتجعل مجتمعاتها ذات نمط واحد. بل إن العكس هو الصحيح لأن **التعددية اللغوية** التي يسمح احترامها

لكل ثقافة أن تطور ذاتها، وتوطِّد اختلافها، ويسمح لكل أمة، ولكل إقليم أو جماعة بالحفاظ على جذورها وتقاليدها.

إن ما ذكرناه لا يعني مجرد الحفاظ على الموروث في ردة فعل تقوم على الحنين. وآية ذلك أن التعددية اللغوية تتصل بالأسس العميقة لمشروعنا في بناء المجتمع. إننا نود أن تظل أوروبا فضاء حيويا للقاء والتبادل. إن الترويج لأوروربا المتعددة اللغات هو أمر جوهري، ليس من أجل احترام هوية كل مواطن، والاطمئنان على صوابية مسيرة الاتحاد الأوروبي فحسب، بل من أجل ازدهار بلادنا أيضاً. إن سياسة التعدد اللغوي التي تُصاغ صياغة جيدة تفترض فيما أرى احترام اللغات الموجودة، ولكنها تفترض بذل جهود للانفتاح على الآخر ولمحاولة تعلم لغات آخرى. وآية ذلك أن تحسين الكفاءات اللغوية لكل فرد هو وسيلة لبلوغ الأهداف السياسية لأوروبا، وللحفاظ على مجتمعات تقوم على الاندماج، وعلى الاعتراف بالآخر ولتشجيع الجانب الابداعي فيها. إن ذلك تحد يواجهنا لكي نستغل أحسن استغلال الطاقة الكامنة في أوروبا لنمو مستدام يستند إلى أعمال[45] مستقرة ونوعية. إن التعددية اللغوية هي في نهاية المطاف ضمان لمفهوم مواطنة أوروبية واضح كل الوضوح، ومقبول، ومؤسس على التزام بمقولة "الوحدة في التنوع"، وهي المقولة التي تصوغ هويتنا.

التوسع والعولمة: التنوع اللغوي المتنامي في رحاب الاتحاد الأوروبي:

تواجه مجتمعاتنا الأوروبية المعاصرة تبدلات سريعة؛ يطال بعض منها الأراضي الأوروبية على وجه الخصوص. إن للعولمة، أو للتقدم التقني، أو لتطور الأنترنت أو أيضاً لشيخوخة الشعوب تأثيراً كبيراً

في تلك المجتمعات يشمل الاقتصاد والمجتمع الأوروبيين على حد سواء.

إن حركة الانتقال المتزايدة في أوروبا-عشرة ملايين أوروبي يعملون في الوقت الحاضر في بلد آخر غير بلدهم، عضو في الاتحاد الأوروبي- تشكل مظهرا مهما من مظاهر هذا التغيير. ويحتك المواطنون أكثر فأكثر مع الأجنبي. إن الاقتصاد العالمي، إبان النصف الثاني من القرن العشرين اكتسب، كما يشير إلى ذلك **ريكاردو بيتريللا** Riccardo Petrella، بوتيرة متسارعة صفة العالمية بسبب "الاندماج المتزايد لسيل المعارف التقنية[46]، والمواد الأولية، والأموال الوسيطة، ومنتجات الخدمات عبر بلاد العالم"(بيتريللا 1990م). واكتسبت الحياة اليومية للأوروبيين أيضاً صفة العالمية وأصبحت تمتلك طابعاً أكثر وضوحا لتعدد اللغات.

إن التوسعات الأخيرة للاتحاد الأوروبي قد دعمت هذا المسار. فمنذ الأول من أيار عام 2004م اتسعت مساحة الاتحاد بنسبة الربع، وشعوبه بنسبة الخمس، والناتج المحلي الإجمالي (PIB) بما يقارب 10% في حين أن عدد اللغات ارتفع بما نسبته 80% أي من 11 إلى 23. إن ارتفاع نسبة التنوع اللغوي-وبالتالي الثقافي- للاتحاد الأوروبي هو بلا شك مظهر من أبرز مظاهر النمو التي تولدت عن توسعة ذلك الاتحاد. إن عدد سكانه اليوم يبلغ من الآن فصاعداً 498 مليون مواطن، و27 دولة عضواً، وثلاثة أنواع من حروف الهجاء و23 لغة رسمية، يتمتع بعضها بانتشار عالمي. وهناك أيضاً ما يقارب 60 لغة آخرى تنتمي إلى موروثنا المشترك، وهي لغات يتكلمها سكان بعض الأقاليم أو بعض الجماعات المعينة. ناهيك عن أن المهاجرين حملوا معهم تشكيلة واسعة من اللغات. ويقدر الدارسون أن هناك أفرادا من 175 جنسية يعيشون على أرض الاتحاد الأوروبي.

ينبغي النظر إلى اللغات التي يجري استخدامها في الاتحاد الأوروبي على أنها ثروات وليس عوائق. لكل لغة تاريخها. إن أغلبية لغات أوروبا تنتمي إلى أسرة لغوية كبرى هي أسرة اللغات الهندو-أوروبية التي أهم فروعها الفرع الجرماني، والرومانية والسلافية والسلتية.[47] إن تصنيف اللغة اليونانية واللغة الليتوانية واللاتفية Letton هو أكثر تعقيداً في حين أن الهنغارية والفنلندية finnois والإستونية تنتمي إلى مجموعة اللغات الفنلندية الأوغورية finno-ougrienne. أما اللغة المالطية فهي قريبة من العربية بتأثيرات إيطالية.

قد يبدو هذا الخليط للوهلة الأولى محبطاً. على أي ساس مشترك يستطيع الأوروبيون الاعتماد في هذه اللوحة الفسيفسائية؟ ومهما كانت درجة الغرابة التي يبدو فيها المشهد عالية فإن الهوية الأوروبية هي في الحقيقة متجذرة في هذه الممارسة الخالصة للتنوع. إن المعرفة المشتركة المعمقة والتفاهم المتزايد بين الأوروبيين هي منذ البدء واحدة من الرسائل الأساسية للوحدة الأوروبية. وإن الطموحات الكبرى لآباء الوحدة الأوروبية ليست، حسب المقولة المشهورة **لجان مونيه** Jean Monnet، "إنشاء تحالف بين الدول ولكنها توحيد الشعوب". وهذا يفترض احترام التنوعات الوطنية، والإقليمية والمحلية والحوار بين ثقافاتنا. وتشكل اللغة بالطبع عنصراً أساسياً من عناصر هويتنا. لهذا ينبغي علينا السهر على أن تمتلك كل منها الحق في أن يكون لها حق المواطنة الكاملة بالمعنى الحقيقي للمصطلح. إن مفهوم اللغة الكونية Lingua franca في اتحاد يشجع التنوع لا يمكن له ألبتة أن يرضي حاجات التواصل لدى المواطنين الأوروبيين. ونقتبس هنا ما كتبه **كلود هاجيج** Claude Hagège قائلاً: "ينبغي على أوروبا أن تربي أبناءها وبناتها في جو من تنوع اللغات وليس في إطار لغة

واحدة"(هاجيج 1992، ص 8).[48] لا ينبغي أن يكون المرء ساذجاً. فعلى الرغم من أن ذلك التنوع اللغوي العميق هو مصدر تميز وثروات إلا أنه يشكل أيضاً تحدياً آخر يضاف إلى التحديات الآخرى إذا لم تخصه المؤسسات بسياسات مناسبة. يمكن له أن يعمق انعدام الحوار بين الأشخاص الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة. ويمكن له أن يكرس الانقسامات الاجتماعية بأن يخص على أرض الواقع الأشخاص ممن يتكلمون لغات متعددة بإمكانية الحصول على شروط حياة وعمل أفضل، مقصيا الأشخاص الذين لا يتكلمون إلا لغة واحدة من سوق العمل. ويمكن له أن يقف حجر عثرة في وجه مواطني الاتحاد الأوروبي وشركاته تمنعهم من استغلال الآفاق التي أوجدتها السوق الواحدة على أحسن وجه. إن السياسة اللغوية التي لا تفهم على وجهها الحقيقي يمكن أن تؤدي إلى إيجاد محاجر لغوية، بل ثقافية. يمكن للغة حتى اليوم في مناطق مختلفة من أوروبا أن تتخذ وسيلة وأن تتمركز في قلب التوترات السياسية.

إن واحدة من التحديات التي تواجهنا اليوم تكمن في تذليل العقبات التي تواجه مواطني الاتحاد الأوروبي ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وذلك بأن نمكنهم من الاستفادة من التشكيلة الكبيرة من الفرص التي يقدمها التعدد اللغوي. ويحتاج ذلك إلى إرادة سياسية صريحة. إنه لمن البديهي أنه ينبغي على كل سياسة لغوية فاعلة أن تكون منظمة وتحترم كفاءات مختلف الأطراف الفاعلة. إن الدول الأعضاء في الاتحاد[49] والجماعات الإقليمية والمحلية هم فاعلون رئيسيون في التعددية اللغوية حسب التنظيمات التشريعية لكل دولة. ويتدخل مجلس أوروبا في هذا الأمر بصفته مكملاً لما تقوم به مختلف الأطراف الفاعلة.

إن التزام المجلس الأوروبي بدعم تعددية لغوية تحترم اللغات كلها هو طريق يطول كلما اتسعت رقعة الاتحاد. لقد اتخذت أوروبا منذ عدة سنين في الإطار المحدد لقدراتها مبادرات لدعم اللغات والتنوع اللغوي. ومنذ البداية كانت سياسة التعددية اللغوية ملتصقة التصاقا وثيقا بالسياسات التعليمية والتدريب وباحترام مبدأ المساواة بين اللغات. ويعد الهدف الذي دعت إليه القمة الأوروبية في برشلونة عام 2002م- تشجيع المواطنين كلهم على تعلم لغتين فضلا عن لغتهم الأم- هو بالتأكيد واحدة من الأدوات الرئيسية لذلك[1].

ولكن الاتحاد الأوروبي اتخذ بعد التوسعة الأخيرة في عام 2007م خطوات أكثر تقدما. ففي إعلان اعتمد بمبادرة مني[2] في سبتمبر"أيلول" 2008م حدد المجلس الأوروبي إستراتيجية مستقبلية عرضت عددا من الاقتراحات المحسوسة في مجالات متنوعة كل التنوع مثل: تعلم اللغات، والحوار بين الثقافات، والنمو الاقتصادي، والترجمة، والتقنيات الجديدة والعلاقات الخارجية للاتحاد. وهناك في كل هذه المجالات جماعات عمل في طور التأسيس. لقد قدم ذلك الإعلان الطموح[50] "فكرة لغوية" لأوروبا، وزودنا بأهداف طويلة الأمد.

---

1 لتكوين فكرة سريعة عن السياسة اللغوية للاتحاد الأوروبي يُنظر:
<http//ec.europa.eu/education/languages/eu-language-policy/index...fr.htm>

2 إعلام مقدم للجنة البرلمان الأوروبي، وللمجلس وللجنة الاقتصادية والاجتمعية الأوروبية وللجنة المناطق بعنوان "التعددية اللغوية: مؤهل لنجاح أوروبا والتزام مشترك"، بروكسل، في 2008/9/18، COM(2008) 566 fin.

إذا كان ينبغي على كل فرد، كما نعتقد، أن يجد في نفسه إمكانية التواصل بفاعلية في اتحاد أوروبي موسع فإنه ينبغي علينا أن نجد صيغة جديدة لتعليم الأشخاص الذين لا يتكلمون إلا لغة واحدة، أو الذين ما زالوا يناضلون ليتعلموا لغتهم الأجنبية الأولى، أو الشباب الذين يتركون المدرسة في وقت مبكر أو الأشخاص الأكبر سناً. إن الإستراتيجية الجديدة للمجلس الأوروبي تسبر الطريقة المثلى لاستخدام أمثل لوسائل الإعلام وللتقنيات الجديدة.

الترجمة، الركيزة الأولى لأوروبا الواحدة

إن الترجمة هي طريق آخرى لجني كل مكاسب ذلك التنوع اللغوي. ويوليها المجلس الأوروبي اهتماما فائقاً لأنها، بلا شك، الركيزة الأولى لأوروبا الموحدة اليوم. لقد كان الموروث الغني من اللغات، منذ زمن يسبق بكثير الزمن الذي أصبحت فيه مشروعاً اقتصادياً وسياسياً مع إقامة المجموعة الأوروبية، يمثل من قبلُ كياناً ثقافيا جمعياً يمتلك وحدة ملموسة. على الرغم من الحروب، ومن عدم استقرار الحدود[51]، ومن الثورات، ومن عمليات الترميم المتتالية فإن أوروبا منذ قرون أرض مشتركة، يتقاسمها أهلها، تجوبها النخب الثقافية والأدبية. وإن شبكة التبادلات الاقتصادية والثقافية التي نُسجت في رحابها على مر القرون هي في غاية الروعة. وكلما تقلصت الأمية، وتطورت صناعة النشر أصبحت شبكة التبادلات تلك متاحة لعدد متنامٍ من الأوروبيين. لقد طال اليوم بعض النسيان "جمهورية الآداب" التي كان مارك فُماروليMarc Fumaroli يحب الحديث عنها. يمكن أن توصف "جمهورية الآداب" تلك بأنها "الإرث الأدبي الأوروبي المشترك". إنها تجمع مجموعة النصوص الفلسفية والشعرية والعلمية الكلاسيكية

للعصرين اليوناني واللاتيني القديمين، تلك النصوص التي كانت مشتركة لدى علماء الإنسانيات، والتي أضافوا إليها بالتدريج كل الإبداعات الفنية والثقافية والفلسفية، إلخ. التي أُنتجت في أوروبا. لقد صمدت جمهورية الأدب تلك في وجه "امتحان الحروب والانقسامات" لتوجد أرضية مشتركة: أوروبا اليوم.

وتحتل الترجمة الأدبية مكانة مركزية في هذا المنظور التاريخي. لأنها سمحت للأوروبيين بتجاوز الحدود اللغوية والثقافية بتمكينهم من الاطلاع على إبداعات جيرانهم وتقاليدهم. لقد مكنت للشعور بهوية أوروبية[52] مشتركة. زد على ذلك أن أوروبا تمكنت بفضل الترجمة أن تحافظ على تنوعها الثقافي، واستطاعت أن تصبح لوحة فسيفسائية من الثقافات واللغات مع المحافظة على الوحدة المؤسسة.

لقد كانت الترجمة منذ زمن الرافد الغزير" للوحدة في إطار التنوع"؛ لأنها تسهل للأشخاص الذين ليس لديهم إلا كفاءات أولية، أو ليس لديهم كفاءة على الإطلاق في اللغة الأجنبية، الاطلاع على الأدب الأجنبي. إنها تستطيع أيضاً، وهي تدعم أهمية اللغة الآخرى أو الثقافة الآخرى، أن تصبح محرضا على البدء بتعلم لغة أجنبية. إن الترجمة، فضلا عن ذلك كله، هي ركيزة حقيقية للثقافة الأوروبية. لقد أصبح المترجم، في عصر أصبحت فيه اللغات والثقافات يحتاج بعضها إلى بعض، وسيط الحوار بين الثقافات. ليس من شك في أن الترجمة ذات قيمة كبرى في إدامة الحوار بين الثقافات وبين المواطنين. وليس هذا كل شيء، بل إن حيويتها تسدي النسيج الاقتصادي. إن الترجمة اليوم صناعة متنوعة في طور الازدهار. ويزداد الطلب عليها في دور النشر وفي قطاعات ثقافية آخرى. لقد أصبح للترجمة وظائف جديدة

تتطور لتفسح المجال لظهور مهن لم تكن معروفة حتى اليوم، وهي مهن تتجاوز الإطار التقليدي للكتاب. فالسينما، والتلفاز، والمسرح، والأنترنت، [53] ووسائل الإعلام الرقمية هي بالقدر نفسه قطاعات تفتح فيها الترجمة أفاقاً جديدة.

بيد أن الأدب يظل مجالها المتميز. وفي هذا المجال أيضاً، تعد الترجمة عاملاً من عوامل دعم أوروبا التنوع. فإلى جانب مجموعات النشر الكبرى يبرز اليوم بنجاح ناشرون صغار مستقلون. إنهم يؤدون دورا رئيسا في الحفاظ على الحيوية الثقافية لأوروبا، وعلى تنوع المعروض، وعلى توزيع الأعمال المكتوبة بلغات أقل انتشاراً. والمجلس الأوروبي يعرف الأهمية الرئيسة للترجمة الأدبية في مستقبل أوروبا. وهو يدعم منذ زمن طويل هذا المجال في برنامجه الثقافي عبر تمويل ترجمة الأعمال الأدبية. وقد أطلق المجلس مؤخراً عددا من المبادرات التي تدعم ذلك المجال. وإن المؤتمر عن الترجمة الأدبية والثقافة الذي أقيم في بروكسل عام 2009 هو مثال على ذلك. لقد التقى مختصو المجال لأول مرة برعاية المجلس مما وفر لهم إمكانية النقاش على المستوى الأوروبي في المشكلات والمنظورات الجديدة للمهنة. لقد كان ذلك المؤتمر غنيا بالأفكار، وبالاقتراحات من أجل المستقبل. ينبغي أن تبذل أوروبا جهداً أكبر في مجال الترجمة الأدبية، وإن ذلك يشكل بالتأكيد واحدة من التحديات الرئيسة التي توجه الأوروبيين في السنوات القادمات.[54].

التنوعية اللغوية عامل تنافسي للاقتصاد الأوروبي

إن اللغات هي الأرض الخصبة للهوية الأوروبية. إنها أيضاً مشعل تنافسيتها. وآية ذلك أن إتقان اللغات يمكن أن يكون ميزة تنافسية حقيقية. وإن المهنات في مجال الكفاءات اللغوية للاقتصاد الأوروبي ما

زالت مهمة[1]. ففي كل عام تفقد آلاف الشركات الأوروبية عقوداً، وترى نشاطها يتقلص لنقص في التنافسية اللغوية. ذكرت إحدى الدراسات أن 11% من عينة الشركات الصغيرة والمتوسطة (PME) التي طالها السبر خسرت عقداً لنقص في الكفاءات اللغوية. والحال أن عدد الشركات الصغيرة والمتوسطة في أوروبا يبلغ 23 مليوناً توظف ثلثي الشعب العامل في القطاع الخاص أي ما يقارب 75 مليون فرصة عمل.

وتظهر نتيجة تلك الدراسة أيضاً أن هناك لدى الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم احتمالا متناميا في التصدير الضخم إذا زادت تلك الشركات من استثمارها في اللغات الأجنبية. إن مجرد تحسن بسيط في نتائج التصدير لتلك الشركات سيكون له تأثير ملموس في النمو الاقتصادي وفي فرص العمل في أوروبا.

[55] إن اللغة الإنجليزية لا تكفي وحدها في رحاب اقتصاد معولم. وإذا كان الرهان الأوروبي –الذي ينبغي ألا ننسى أنه يمثل ما يقارب من نصف مليار شخص يجتمعون في سوق واحدة– هو زيادة مبادلاته الاقتصادية مع بقية العالم فإنه ينبغي على أوروبا أن تكون ذات سمة تعددية لغوية. لقد أصبحت اللغة الإنجليزية تعد منذ زمن في عدد من دول الاتحاد الأوروبي كفاءة أساسية أكثر منها لغة أجنبية[2]. وفي هذا السياق

---

1 ELAN: تأثيرات نقص الكفاءات اللغوية في الشركات في الاقتصاد الأوروبي، المجموعة الأوروبية، 2005م، انظر الموقع <http//ec.europa.eu/dgs/education.culture/publ/multiling_fr.htm>.

2 إن الدراسة التي أعدها المجلس البريطاني لفتت الانتباه إلى السرعة الفائقة في تغير الموقف بخصوص الإنجليزية، وخصوصاً في تقريري دافيد غرادول David Graddol المعنون "مستقبل الإنجليزية" (1997م) و"الإنجليزية التالي" (2006م). انظر الموقع
<http://www.britishcouncil.org/learning-research-englishnext.htm>

تصبح الحاجة إلى الفوز بميزة أو المحافظة على ميزة في تعلم لغات آخرى أكثر استعجالا لتأمين غزو أسواق جديدة. يمكن للجمعيات أو الشركات أن تطور بطريقة مفيدة إستراتيجيات بالاشتراك مع السلطة العامة لمساعدة الشركات في رفع مستوى كفاءاتها اللغوية في العديد من العمليات الاقتصادية. ومن هذا المنظور طرح المجلس الأوروبي في 22 سبتمبر"أيلول" 2009م منصة تسمح بتبادل الأفكار والممارسات المفيدة حول موضوع اللغات في الشركات. ليس الكفاءات اللغوية وحدها هي التي "تحفظ مصالح أوروبا" ولكنها تحفظ مصالح الأوروبيين أيضاً. لأنه تزيد زيادة ملموسة حظوظ الحصول على فرصة عمل أفضل. إن إتقان عدد من اللغات الأجنبية يوفر ميزة أفضل في سوق العمل. والشركات تبحث أكثر فأكثر عن الأشخاص الذين وهبوا[56] كفاءات في عدة لغات لكي يسهلوا تحقيق التبادلات التجارية في رحاب الاتحاد الأوروبي أو مع بقية العالم على حد سواء.

إننا نعلم، والدراسات تظهر ذلك، وحالة سوق العمل تشهد أن الطلب على فرص العمل العالية التأهيل لا ينى يرتفع في أوروبا. وتأثيرات ذلك في سوق العمل في المستقبل هي تأثيرات كبيرة. والأشخاص غير المؤهلين ad hoc، وعلى وجه الخصوص في المجال اللغوي، سيواجهون صعوبات متزايدة لإيجاد عمل. وإنه من واجبنا الاستثمار في تعليم اللغات، والعمل على إزالة معوقات التحرك، كل أشكال التحرك. لأن امتلاك كفاءات في عدد من اللغات يشجع الإبداع والتجديد. إن ممارسة عدة لغات هي رياضة رائعة للعقل، يوفر مرونة إدراكية كبيرة. ناهيك عن أنه يسهل الاحتكاك فيما وراء الحدود الجغرافية أو الثقافية. إن الأشخاص متعددي اللغات تعلموا-عبر تعلم اللغات نفسها- أن المسألة يمكن معالجتها بألف طريقة وطريقة حسب

السياق اللغوي أو الثقافي الذي توجد فيه. يمكن لهذه الملكة أن يستفاد منها في ظروف الحياة كلها.

وأختم بكلمة لغاستون بيرجيه Gaston Berger يقول فيها: "لن يكون الغد كاليوم، سيكون جديداً وهذا منوط بنا. إنه أقل في الاكتشاف والإبداع على حد سواء" (بيرجيه، 1964م).

إن التحديات التي[57] ينبغي علينا تجاوزها تمضي مسرعة سواء أكان ذلك في رحاب أوروبا نفسها أو على مستوى العالم. وعلى وجه الخصوص في أزمنة الأزمة هذه. ينبغي علينا أن نخترع نماذج نمو جديدة، وأن نبدع-بطريقة مستقبلية-أوروبا الغد. ولفعل ذلك، ينبغي استغلال كل مواردنا. يمكن لأوروبا أن تعتمد على رأسمالها اللغوي الثري كل الثراء. وتقع على عاتقنا مهمة تثميره لنبدع أوروبا الغد المتعددة اللغات والمتعددة الثقافات.

مراجع

- Berger, G., Phénoménologé du temps et prospective, Paris, PUF, 1964.
- Hagège, C., le soufflé de la langue> Voies et destins des parlers d' Europe, Paris, Éditions Odile Jacob, 1992.
- Petrella R., Three analyses of Globalization of Technology and Economy, roxelles, Commission européenne, Direction générale science, recherché, dévloppement, 1990.

العلوم "الصحيحة" والترجمة

جان- مارك ليفي-لوبلون

Jean-Marc Lévy-Leblond

حوار أجراه ميشيل أوستينوف

مقتبس من العدد 49 من مجلة هرمس

الترجمة والعولمة، 2007م.

إن الفارق بين العلوم الصحيحة والعلوم الإنسانية كما استقر في أذهان كثير من الناس هو أن العلوم الصحيحة لا تحتاج إلى اللغة، إن صح التعبير، إلا بوصفها مجرد أمر كمالي. وأنت في كتابك: كلمات الفيزياء الكمية وآلامها[1]، تتهم هذه الرؤية بتزوير الأشياء، لماذا؟

إنها بالفعل مقولة سارت بها الركبان، وهذا لا يعني أنها صحيحة. ويبدو أن لها حضورا قويا في المخيال الشعبي[2]. أضرب لذلك مثلاً

---

1 انظر كتاب: كلمات الفيزياء الكمية وآلامها. نقد إبيستمولوجي ومشكلات مصطلحية. المجلة الدولية للفلسفة، العدد2، حزيران"يونيو" 2000م ص 243-265.

Voir "Mots et maux de la physique quantique. Critique épistémologique et problèmes terminologiques

2 انظر مجلة آلياج Alliage 57-58، علم وأدب، آذار"مارس" 2006م.

أدهشني في أحد أفلام **ألفريد هيتشكوك** Alfred Hitchcock **الستارة الممزقة** (1966م)[1]؛ إنه ليس أشهر أفلامه ولا من أفضلها، ولكنه يضم مشهدا دالاً كل الدلالة في هذا الصدد. في لحظة حرجة من زمن الفيلم يزعم **بول نيومان** Paul Newman الذي يقوم بدور فيزيائي أمريكي[60] أنه فرَّ إلى الشرق، ولكنه كان في واقع الأمر قد ذهب ليتحرى عن أبحاث أستاذ اخترع نظاما جديداً لتدمير الصواريخ. وجرت بينهما مواجهة على السبورة السوداء كان سلاحها الصيغ الرياضية- تشكل ضربا من المعميات لبقية البشر الفانيين. استاء الأستاذ من أخطاء زميله، ورأى أن من واجبه أن يصححها له واحداً واحداً حتى انتهى به الأمر إلى أن يكشف للجاسوس الأمريكي اكتشافاته كلها. والمهم في كل ذلك أن المشهد كله صامت، وطرفا المواجهة كانا يكتبان ويمحوان صيغهما دون أن يتبادلا كلمة واحدة: كان كل شيء يحدث كما لو أن بإمكان العلماء أن يتواصلوا عبر الرموز الرياضية الخالصة وحدها. ولكن المشهد كان على عكس ذلك كثير الثرثرة، بل إن أكثر مجالاته اعتماداً على الصيغ كالفيزياء لا تستطيع الفكاك من إسار اللغة.

إذن، كيف يمكن برأيك، والحالة هذه، تعليل هذا التصور عن العلوم الصحيحة؟

أود الإشارة عرَضاً إلى أنه عندما يقال: علوم صحيحة فإن هذه التسمية يمكن أن تعني في ذاتها أن العلوم الآخرى هي بالتعاكس غير صحيحة. ألا يمكننا قياساً على ما سبق أن نصف العلوم الصحيحة بسبب الدور الذي نسنده إليها بأنها علوم لا إنسانية ولا اجتماعية؟

---

1 Le rideau déchiré

ولكي نرجع إلى سؤالك أبدأ بالقول: إن التقعيد في هذه العلوم هو ثمرة[61] تطور طويل داخلي سأحاول إجمال خطوطه العريضة.

لقد بدأت علوم الفيزياء في بداية القرن السابع عشر تصطبغ بصبغة رياضية. يتحدث **غاليلي** Galilée في فقرة مشهورة "ساجياتوري" L' Essayeur (1623م) قائلاً: "توجد الفلسفة في ذلك الكتاب الكبير، أعني الكون، وهو مفتوح باستمرار نصب عيوننا. ولكن لا يمكننا فهم ذلك الكتاب إذا لم نجتهد في معرفة لغته وتعلم الحروف التي كُتب بها. إنه مكتوب بلغة الرياضيات، وحروفه هي المثلثات والدوائر، وأشكال هندسية أخرى، وبدونها لا يستطيع الإنسان فهم حتى كلمة واحدة من الطبيعة والكون، وبدونها يضل الإنسان في دهليز كبير مظلم."[1]

إن المعني بالفلسفة في كلام **غاليلي** "الفلسفة الطبيعية" التي أصبحت تُعرف عندنا فيما بعد بالفيزياء[2].

شهد اصطباغ الفيزياء بالصبغة الرياضية مسارا تصاعديا حتى إن هذه النزعة أصبحت المعيار الحقيقي لنموذج العلمية الذي صاغه المجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، ذلك النموذج الذي كان يسعى لأن يكون كونياً: إن درجة التقعيد التي وصلها النموذج هي التي تثبت من الآن فصاعداً

---

1 CHAUVIRE, C., L' Essayeur de Galilé, Annales littéraires de l'Université de Besançon, Paris, les Belles Lettres, 1980, p. 141.

شوفير سي.، كتاب ساجياتوري لغاليلي، الحوليات الأدبية لجامعة بيزنسون، باريس، سلسلة (لي بل ليتر)، باريس، 1980م، ص 141.

2 Voir "La nature prise à la letter", in LEVY-LEBLOND, J.-M., La vitesse de l'ombre, Seuil, 2006, p. 61-75.

انظر "الطبيعة بحرفيتها" في كتاب ليفي-لوبلون، ج.-م.، سرعة الظل، سويْ 2006، ص 61-75.

القيمة العلمي للنتائج. ونشهد اليوم قياساً على ذلك على مستوى الكتابة العلمية افتقارا كبيرا للغة، افتقارا بدأت تزداد آثاره ظهوراً منذ بداية القرن العشرين.[62] إن كتاب "المبادئ الرياضية"[1] (ثلاث مجلدات نُشرت بين عامي 1910–1912م) **لبرتراند راسل** Bertrand Russell بالتعاون مع **ألفريد نورث وهيتهيد** Alfred North Whitehead دعَّم مشروع استبعاد اللغة من البرهان العلمي، ولما كانت الرياضيات تعبر عبر رموز منطقية مجردة فإن ذلك أعفاها من اللجوء إلى اللغة السائدة التي حُكم عليها بأنها مصدر لكثير من الالتباسات.

ولكن ما مساوئ مثل هذا التقعيد؟

إن التقعيد Formalisation الرياضي في حد ذاته إغناء لا يمكن إنكاره في العلوم الفيزيائية. ولكنه لن يستطيع الزعم بأنه يتحكم بعلوم الطبيعة كلها: إذ لا يصلح، على سبيل المثال، أن يصطبغ علم الأحياء العضوية أو الكيمياء(كلياً) بالصبغة الرياضية. وإن مظاهر محدودية المشروع المنطقي–الوضعي قد أصبحت واضحة كل الوضوح: إذ لا يمكن أن يصلح للتطبيق إلا على عدد صغير من العلوم إذا نظرنا إليها في كليتها.

وإذا اعتمدنا وجهة النظر هذه فإننا حينئذٍ سنلحظ أن اللغة هي التي تمسك بتلابيب العلم وليس العكس–إذا سمحت لنفسي بمثل هذه الإحالة إلى الصورة المشهورة **لأنشتاين** Einstein وهو يمد لسانه[2].

---

1 Les principa Mathmatica

2 استخدم المؤلف عبارة: tirer la langue وهي عبارة تحتمل معنيين: الأول: مد لسانه ساخراً tirer la langue à quelqu'un كما في الصورة المشهورة لأنشتاين. والثاني: فعل tirer بمعنى شد جذب، وlangue بمعنى اللغة كما ترجمنا أعلاه: اللغة هي التي تظهر العلم وليس العكس.

ما الذي تريد قوله بهذا؟

لقد كشفت **غوديل** Godel عندما برهنت على نقص يطال أي نظام بديهيات[1] عن طبيعة أي مشروع [63] تقعيد عام بالقول: إنه استيهام fantasme: إنه لمن المستحيل، حتى في الرياضيات التي هي بامتياز علم المفهوم والعلامة، التخلي عن اللغة التي يعد دورها فيها دوراً رئيسياً[2].

إن اصطباغ عدد من المسائل التي تشغل بال الفيزياء المعاصرة مثل مسألة الحتمية Déterminisme أو مسألة أصل الكون، بالصبغة الرياضية لم تعد تُطرح (لأن هناك اتفاقاً واسعا حولها) إلا فيما يخص تأويلها، وأعني مسألة المعنى في النظريتين التي تمر عبْر اللغة.

وللتمثيل على ذلك أعطي مثالاً أولا يسمح لي بالتطرق إلى مسألة اللغة، وبالتالي إلى مسألة الترجمة في آن معاً. أعلن **هيزنبرغ** Heisenberg في عام 1927 ما سماه الناس "مبدأ الشك". وهي تسمية مؤسفة لسببين: الأول: أن المعني بذلك ليس هو ألبتة "مبدأ" لأن ما أعلنه ينفصل اليوم عن المسلمات الأساسية للنظرية الكمية، حتى إنه أصبح الأفضل اليوم أن نتحدث بكل بساطة عن تباينات **هيزنبرغ**. والسبب الثاني، وهو أكثر أهمية، ذو طبيعة لغوية. كان **هيزنبرغ** في أول الأمر مترددا بين مصطلحي (الشك) و(عدم الدقة). ولكنه عندما

---

1 Système Axiomatisé: نظام يقوم على بدهيات، ونعني بالبدهيات فرضيات نقبل مبدأ أنها لا تحتاج إلى البرهنة على صحتها، على سبيل المثال قول إقليديس Euclide:"يمر على الأقل عبر نقطة مفترضة موازٍ واحد لخط مستقيم مفترض".

2 Voir "la langue tire la science", in LEVY-LEBLOND, J.-M., La pierre de touché, Paris, Gallimard, "Folio", 1996.
انظر "اللغة تظهر العلم"، في ليفي-لوبلون، ج.-م.، المحكّ، باريس، غاليمار، فوليو"، 1996م.

لاحظ أن هذين المصطلحين يتركان مجالا للتخليط فضل عليهما مصطلح (اللاحتمية). ولكن الترجمة الإنجليزية التي (ترجمت متسلحة بمنطق قوي المصطلح الألماني unsicherheit بمصطلح uncertainty الإنجليزي هي التي فرضت نفسها على اللغات الآخرى. في حين أن مصطلح Unbestimmtheit (اللاحتمية)) الذي استعاره **هيزنبرغ** من المعجم الفلسفي الهيغيلي hégélien) هو الأفضل. وآية ذلك أن مصطلحات "الشك" أو "عدم الدقة"، أو "اللاحتمية" تغطي في العلم مفاهيم مختلفة كل الاختلاف. وإذا كان مصطلح "مبدأ الشك" أوجد هذا العدد الكبير من حالات سوء الفهم أو الفهم المغلوط في الفيزياء وفي مجالات آخرى على حد سواء فذلك يعود بالتحديد إلى أن الترجمة الإنجليزية التي اختيرت والتي فرضت نفسها على بقية اللغات لم تأخذ في الحسبان العمل المفهومي travail de reconceptualisation (ولو كان باشلار Bachelard المتكلم لقال: إعادة السبك الإبيستمولوجي refonte épostémologique) الذي شهدته النظرية الكمية[1].

أضرب مثالاً آخر، إنه مثال مصطلح (الملاحَظ=الأمر القابل للملاحظة)، وهو يبدو في الظاهر مصطلحاً واضحاً، ولكنه في الواقع بعيد عن أن يكون كذلك: وآية ذلك أن هذا المصطلح انتهى به الأمر في الفيزياء الكمية إلى أن يدل على كل الخصائص الفيزيائية المحددة صورياً، والحال أن عددا قليلا قابل في الواقع للملاحظة.

---

1 Voir LEVY-LEBLOND, J.-M., BALIBARD, F., "When did the Indeterminancy Principle?", American Journal of Physique, n 66, 1998, p. 278-279.

انظر ليفي لوبلون، ج.-م.، باليبار، ف.، "متى مبدأ عدم التحديد؟" المجلة الأمريكية للفيزياء، العدد 66، 1998م، ص 278-279.

يُظهر هذان المثالان بجلاء (ويمكن أن نضرب أمثلة عديدة آخرى) مدى ارتباط العمل المفهومي في العلوم باللغة. ومن هنا تنبع في المقابل ضرورة الاهتمام بأن يختار المرء كلماته، لأن الكلمات تحمل مفاهيم، وليست بالفعل مجرد أشياء كمالية.

أضرب مثالاً أخيراً بالمصطلح الذي شاع كل الشيوع؛ إنه مصطلح (بيغ بانغ=الانفجار الكبير). وما يؤسف له أن هذا المصطلح يبرهن[65] على أنه إذا كانت اللغة هي التي تمسك بتلابيب العلم فإنها يمكن بأن تشده إلى الوراء... ومن هذا المنطلق وجدنا في مقال في صحيفة لوموند Le Monde هذه الفقرة في خبر نقلته وكالة الأنباء الفرنسية بمناسبة منح جائزة نوبل في الفيزياء في عام 2006م إلى رائدي فضاء أمريكيين **جون سي. مازر** John C. Mather وجورج ف. مور George F. Moor على أعمالهما في أصل الكون وتشكل الكواكب والنجوم: فقد أشارت الأكاديمية في حيثيات منح الجائزة إلى أن "النتائج التي حصلت عليها المركبة الفضائية COBE أكدت سيناريو الانفجار الكبير (بيغ بانغ) لشرح أصل الكون". وتقول نظرية الانفجار الكبير (بيغ بانغ) أن الكون تكوّن قبل ما يقارب 13,7 مليار سنة إثر انفجار ضخم"[1].

والمقلق في الأمر أن مصطلح الانفجار الكبير، قبل أن تسير به ركبان الإعلام، ابتدعه عالم الفيزياء الفضائية فريد هوايل Fred Hoyle لإحباط هذه النظرية الكونية التي كان ينكر صحتها! ولكن "الانفجار الكبير لا يُحدث أي جلبة عندما يبدأ لأنه ينطلق عبر موجاته

1 مُنحت جائزة نوبل للفيزياء لباحثين أمريكيين على أعمالهما التي تناولت (البيغ-بانغ) صحيفة لوموند Le Monde ، ث أكتوبر"تشرين الأول" 2006م. انظر على الأنترنت موقع:
<http//www.lemonde.fr/web/article/0, 1-0@2-3244, 36-81935@51-818914.0.html>.

الكهرومغنطيسية حصراً. وأضيف ما هو أكثر أهمية أيضاً، وهو أنه من المستحيل تحديد مكانه في الفضاء الذي يظل متماسكا في أثناء المدة التي يستغرقها اتساع الكون، ومن المستحيل أيضاً تحديد زمن بدئه بتاريخ دقيق (ينبغي الاعتقاد في آن معاً أن عمر الكون 13 مليار سنة وأنه كان على الدوام موجوداً)[1]. وإذا افترضنا أن هذا أمراً ليس بالخطير عند المختصين في الفيزياء الفضائية فإن العلم لم يُخلق إلا لهم:[66] إنه في جوهره للعلماء، ليس لينقل بعضهم إلى بعض نتائج أبحاثهم، ولكن ليتقاسموا معارفهم مع المجتمع كله بأن يصبغوه بصبغة يمكن للعامة فهمها؛ وهذا يتطلب كما يبدو ذلك عملا ذا خصوصية كبيرة في مجال اللغة.

وأفترض في مجال اللغات أيضاً، بسبب العولمة: لأنك القائل في مكان آخر "يتعرض العلم، إن لم يُكْتب مستقبلا بلغات متعددة، إلى خطر أن يصبح عيياً". وإن في هذه الفكرة ما يدهش حقاً؛ لأننا اعتدنا اعتيادا راسخا أن لغة توصيل العلم هي الإنجليزية دون اللغات الأخرى!

إنه لمن المؤسف أن نسمع اليوم من يقول: ***النشر بالإنجليزية أو عانِ الضياع بالفرنسية***. إنها مسألة معقدة. ينبغي النظر إليها من زوايا متعددة.

ينبغي في المقام الأول أن نذكر أنه إبَّان القرن التاسع عشر كله، وإبان مدة طويلة من القرن العشرين كان العلم متعدد اللغات، وكان

---

1 Voir LEVY-LEBLOND, J.-M., "La pierre de touché", op. cit., 1996.

انظر ليفي لوبلون، ج.-م.، "المحك" مصدر سابق، 1996م.

في صحة جيدة جداً: كانت لغاته الرئيسة الثلاث هي الألمانية والإنجليزية والفرنسية. والحالة التي نعيشها اليوم تولدت في جانب كبير منها من الحرب العالمية الثانية مع ما ينبغي تسميته **أمركة العلوم**. لقد قام علماء كثيرون مثل أنشتاين الذين فروا من النازية باللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة أبحاثهم. وينبغي أن نضيف إلى مسألة هجرة العقول هذه، الخراب[67] الذي حل بالبلدان الأوروبية بسبب الحرب مما حرمها من الموارد الضرورية للتنافس على المستوى العلمي مع الجامعات الأمريكية.

بيد أن أمركة العلوم مهما كانت أهميتها لا تشرح كل شيء، بل يبدو لي أنه ينبغي أن نأخذ في الحسبان عاملين آخرين. الأول هو رسوخ بنية النمط المنطقي–الوضعي الذي أشرنا إليه سابقاً: لما كانت اللغة تعد في أحسن الأحوال ذات أهمية ثانوية فإنه من غير المهم أن يستخدم المرء الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو أي لغة آخرى. منذئذٍ أسهم كل شيء في تفضيل استخدام لغة دولية ذات انتشار واسع، وأعني الإنجليزية. ولكن هناك سببا آخر أيضاً ذا طبيعة اجتماعية. كان أعضاء جماعة العلماء في القرن التاسع عشر ينتمون إلى طبقة الخواص، وكان تكوينهم يتضمن الإنسانيات التقليدية، ناهيك عن معرفة اللغات الأوروبية الآخرى للثقافة (نضيف إلى اللغات الثلاث المشار إليها الإيطالية). ذلك هو السبب الذي جعل علماء العصر يكتبون بلغة غنية، بل أدبية، ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يستطيعون أيضاً بأن يقرؤوا مباشرة أعمال زملائهم في لغاتهم الخاصة. وفي القرن العشرين تغير المعطى الاجتماعي تغيراً جذرياً: عرف عدد الباحثين ارتفاعا استثنائيا من المعامل 100 إلى المعامل 1000. ولم يعد المنبت الاجتماعي ولا التكوين الذي يتلقاه الباحثون هما نفسهما. ولم يكن

لانحدار[68] اللغة، ولسيطرة التقعيد الرياضي، والنمط الأمريكي إلا أن يسهموا في منح الإنجليزية وضعية الهيمنة.

ما المعوقات التي تنتج في رأيك عن مثل تلك الحالة وما ميزاتها؟

لن أستفيض في الحديث عن الميزات لأن فائدتها تبدو بادية للعيان بجلاء. وسأقول في هذا الخصوص قولاً ربما يبعث على الدهشة، أقول: إنه ينبغي دراسة الإنجليزية أكثر! وآية ذلك أننا مضطرون للتواصل أكثر فأكثر مع الناطقين بها، ولقراءة أعمالهم أو لأن نكتب نحن أنفسنا بلغتهم. كل هذه الأشياء وكثير غيرها تدفعنا إلى تعميق المعرفة بالإنجليزية لتتجاوز المستوى الذي يتطلبه التواصل البسيط الشائع. ولكن ما ينبغي في المقام الأول هو ممارسة اللغة الأم نفسها. وإن ذلك نقطة أود على وجه الخصوص الإلحاح عليها، واعذروني إن استفضت في ذلك.

أود الانطلاق من رسم ملامح الإنجليزية بصفتها "لغة تواصل". ولكن، هل نحن واثقون مما نريد قوله بدقة هنا عبر "تواصل"؟ يبدو لي أن الجواب بالنفي. إن صيغ التواصل هي على الأقل اثنتان: الكتابية والشفاهية. ونحن لا نحس إحساساً كبيرا بالفارق الذي يفصل بينهما إلا عندما "نتواصل" بلغة أجنبية... أما فيما يخص [69] سجلات التواصل فإنها متنوعة. نختار منها ثلاثة لكي نظل في إطار النشاط العلمي الاحترافي: التواصل اللاشكلي في مرحلة تشكل المعرفة (النشاط البحثي بالمعنى الحقيقي)، كما تحدث في المختبر؛ التواصل المؤسساتي عندما يتعلق الأمر بأن يعرض المرء لأشباهه النتائج التي تم التوصل إليها لتجري مناقشتها والمصادقة عليها؛ والتواصل الشعبي الذي يرمي إلى

نشر المعرفة على نطاق واسع والحصول على التقدير الاجتماعي لتلك المعرفة في حالة الاكتمال التي وصلت إليها.

إن التوفيق بين الصيغ والسجلات يفضي بنا إلى الحصول على ست احتمالات. إن الفائدة من مثل هذه التصنيفية هي البرهنة على أن الجانب الأكبر من التواصل العلمي يجري باستمرار اليوم في إطار اللغات القومية للباحثين وليس بالإنجليزية. وينطبق ذلك في جوانبه الجوهرية على التواصل اللاشكلي (المكتوب: محاضر المخبر، البريد، الأنترنت إلخ.؛ الشفهي: مناقشات العمل، الأحاديث الهاتفية، إلخ.)؛ وهو تواصل تكون فيه لغة التوصيل هي المسيطرة كما يمكن أن نتوقع ذلك. وينطبق الأمر نفسه بالطبع أيضاً على التواصل الشعبي (المكتوب: الكتب التي تبسط العلم وتشيعه، الصحافة، إلخ.؛ الشفهي: التعليم، وسائل الإعلام، المذياع إلخ.)، لأن الكتب التي تبسط العلم وتشيعه، والصحافة الواسعة الانتشار، ووسائل الإعلام داخل البلد نفسه لا تلجأ لحسن الحظ إلى استخدام لغة أجنبية. [70] إن الحالة الوحيدة التي تُطرح فيها بجدية مسألة اللغة المساعدة الدولية لا تخص إلا التواصل المؤسساتي (المكتوب: المقالات الاختصاصية، المنشورات الأولى؛ الشفهي: الندوات، حلقات البحث، المؤتمرات الصحفية،إلخ.). ناهيك عن أن العلوم الإنسانية والاجتماعية تنفرد بإمكانية النشر المتعدد اللغات، وهي إمكانية يؤسف أن العلوم الطبيعية فقدتها لأنها يسيطر عليها اقتصادياً وتقنياً نمط واحد. ويبلغ الأمر منتهى السخافة عندما يصبح للفكرة مظهر أكثر علمية لمجرد الإعلان عنها بالإنجليزية.

إذن، إن الجانب الجوهري من التفكير يحدث في رحاب لغته الأصلية. ما النتيجة التي تستخلصونها من ذلك؟

أستخلص عدة نتائج. أولها، أن جانب التواصل العلمي الذي يُنجز باللغة الكونية الدولية لا يمثل إلا الرأس الناتئ من جبل الجليد. وأشير عرَضاً إلى أن المطابقة التي نجريها غالباً بين الإنجليزية واللاتينية بصفتها لغة مشتركة لجماعة العلماء والأدباء إبان قرون هي مطابقة خادعة: فاللاتينية لم تكن بعكس الإنجليزية لغة قومية، ولم تكن لغة أماً لأحد... ويتمتع الناطقون بالإنجليزية اليوم بميزة مؤكدة[71] لكي لا نقول إنها غير مألوفة لأنهم على عكس زملائهم لا يحتاجون إلى تعلم لغات أجنبية. لقد التزم الاتحاد الأوروبي جانب التعددية اللغوية: لست أدري لما فعل ذلك، لأنه سيكون من غير اللائق على المستوى العالمي أن يحدث الشيء نفسه في مجال العلوم.

والنتيجة الثانية تتعلق بالخطر الذي تولده السيطرة الكبيرة للإنجليزية (أو لأي لغة آخرى أيضاً) على العلم المعاصر. إن سجلات الاتصال الثلاثة التي فصلنا القول فيها قبل قليل لا ينفصل بعضها عن بعض: إنه تشكل اللحظات المختلفة لمسار اجتماعي معقد. فالاتصال اللاشكلي سيتولد عنه للاتصال المؤسساتي الذي سيؤول به الأمر بدوره إلى الاتصال الشعبي. إن الاتصال اللاشكلي سيترسخ عبر un bouclage en vetour في الاتصال الشعبي: إن معارف الباحثين، وصيغ خطابهم، وما يجري بينهم من تبادل للمعارف يتكون خارج المخابر، في التعليم وفي تبسيط العلوم ونشرها.

إذن، إن هذه السلسلة الاتصالية معرضة للخطر بسبب وجود عقدة أجنبية محكمة. لقد سبق لنا الاستشهاد بمثال"مبدأ الشك" أو

الانفجار الكبير (بيج بانغ) ونضيف هنا بعداً آخر هو بعد الترجمة السيئة التي تجعل في بعض الأحيان فقرات كاملة من كتب نشر العلم وتقريبه غير مفهومة، بل يمتد الأمر إلى كتب التعليم. لقد كان ينبغي علي في هذا السياق[72] بعضا من الوقت لأفهم أنه يكمن وراء الحالة الملغزة التي عرضت لي في كتاب تعليمي من كتب الرياضيات، وهي قولهم: "لنأخذ في الحسبان نقطتين في طائرة" "ترجمة للعبارة القائلة "consider two points in a palne"[1]. ونلاحظ بغض النظر عن الطرفة أن الهيمنة الكبيرة للإنجليزية تمنع من تمثل ضرورة العودة النقدية إلى المصطلحية.

والدرس الثالث الذي أستخلصه هو أن هناك ضرورة لوجود مختلف اللغات القومية حية في علومنا. وهذا أمر لا يمكن الاستغناء عنه فقط ليكون هناك تواصل أفضل بين العلماء وبقية أفراد المجتمع، ولكنه ضروري أيضاً لكي يصبح لدى العلماء، كما أتيحت لي الفرصة لقول ذلك في موضع آخر، كفاءة أفضل لفهم ما يقومون به. لا ينبغي أن يكون لدى العلماء قناعة مؤكدة أنهم يستطيعون، كما في مشهد فيلم **الستارة الممزقة لألفريد هتشكوك**، التخلي عن اللغة، وأن لغة الرياضيات التقعيدية تكفي بذاتها لذاتها. إن في ذلك كما أرى خطأ خطيراً، ولكنه خطأ من المؤسف أن التطور الحالي للعلم يؤكده كما يبدو لي. وآية ذلك أن مصدر التهديد الكبير الذي يثقل كاهل العلم اليوم كما أرى يكمن في تحوله إلى تقنية علمية وسائِلِيَّة وسِلَعِيَّة، يسيطر فيها المدى القصير على الإنتاجية الطويلة

---

1 وقع الخطأ في ترجمة كلمة plane الإنجليزية التي تعني فيما تعنيه الطائرة. والمقصود بها في العبارة هو السطح. وصواب الترجمة: لنأخذ في الحسبان نقطتين على سطح ما.

الأمد لمعارف البحث الأساسي. إن العلم يفتقد الثقافة[1]، والثقافة اللغوية[73] على وجه الخصوص، تلك الثقافة التي تولد من معرفة لغته واللغات الآخرى.

ماذا تضيف التعددية اللغوية للعلم؟

إنها تجعله يتفادى الوقوع في العيّ المفهومي، العي المتمثل في أنه لا يفكر إلا في إطار لغة وحيدة، هي في نهاية المطاف لغة معقمة، ومبسطة كل التبسيط، هي الإنجليزية الدولية (**الغلوبش**)* التي ليست إلا رسما كاريكاتوريا للإنجليزية الحقيقية. ولن ألح على واقعة أنه من السهل نسبيا على ناطق بالفرنسية أن يتعلم اللغات اللاتينية الآخرى. ينبغي على الفرانكوفونية أن تُقْرن على وجه السرعة بالرومنة romanophonie: هناك لغات يمكن تعلمها بسهولة كالإسبانية والإيطالية، ولغات آخرى هي أكثر صعوبة مثل البرتغالية (بسبب طريقة نطقها) والرومانية (بسبب معجمها الذي دخلته جزئيا مفردات سلافية)، ولكن تعلمها ممكن أيضاً، ويمكن لذلك أن ينسحب على المجموعات اللغوية الآخرى. ولكنني أرغب في الذهاب إلى أبعد من ذلك: تكلمت قبل قليل عن "النموذج الكوني للنزعة العلمية" التي أرسيت أسسها في القرن التاسع عشر. إنه نموذج اصطنع في الغرب، وليس هو ألبتة نموذجا كونياً. لقد جعلنا عصر العولمة نحتك بإفريقيا والهند والصين، وأصبح بذلك الحوار العابر للثقافات ضرورياً أكثر من أي وقت مضى. وقد خصصت في هذا السياق مجلة **آلياج** Alliage

---

1 Voir LEVY-LEBLOND, J.-M., "Faut-il faire sa fête à la science", Alliage, n 59, 2007.

انظر ليفي لوبلون، ج.-م.، "هل ينبغي الاحتفال بالعلم" آلياج، العدد 59، 2007م.

ثلاثة أعداد منها[1] لهذه[74] المسألة بالتعاون مع الجمعية **ترانسكولتورا** Association Transcultura ومجلة **ديالوغ** Dialogue (التي تُنشر في **شانغهاي** Shanghai في الصين) لأنه ينبغي على العلم الغربي أن يتذكر ما يدين به للعلوم التي ولدت في أمكنة آخرى (الصينية والهندية والعربية على وجه الخصوص)، وأن ينفتح أيضاً على نماذج paradigms آخرى، ظهرت فيما مضى من الزمن، وربما تتاح لها فرصة الظهور مرة آخرى في أمكنة آخرى غير أمكنة ظهورها قبل. لن يستطيع العلم أمام مثل هذا التنوع في الأفق أن يتجاوز الترجمة بكل أشكالها.

1 Voir Alliage, n41-42, n 45-46, et n 55-56.
انظر مجلة آلياج، العددان 41–42، والعددان 45–46، والعددان 55–56.

[77] التنوع الثقافي:
رسالة الترجمة

خو يون
Xu Jun

مقتبس من العدد رقم 49 من مجلة هرمس
الترجمة والعولمة 2007م.

تبنت اليونيسكو في عام 2001م، في باريس إبان انعقاد الدورة الواحدة والثلاثين للمؤتمر العام الإعلان الكوني حول التنوع الثقافي إثر ظروف شديدة الخصوصية، ظروف ذكرها **كواشيرو ماتسورا** Koïchiro Matsuuraالمدير العام في جلسة الافتتاح عندما أشار إلى الأحداث المأساوية في الحادي عشر من سبتمبر، الأحداث التي تسببت في انهيار برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك. لقد اعتمد الإعلان بالإجماع "لأن ذلك" كان فرصة للدول لتعيد تأكيد قناعتها بأن الحوار بين الثقافات يعد أفضل ضمان للسلام، ولكي تتخلى تخليا قطعيا فرضية الأزمات الحتمية بين الثقافات والحضارات"(اليونيسكو 2002م). إذن، لم يعد الدفاع عن التنوع الثقافي بعداً[78] يمكن أن نستمر في اعتباره بعداً ذا أهمية ثانوية نسبياً.: إنها رهان رئيس تعيه الدول اليوم كل الوعي على المستوى الكوني. وإن دخول الاتفاقية التي اعتمدتها

اليونيسكو في الثامن عشر من مارس"آذار" 2007م حول **حماية تنوع أشكال التعبير الثقافية والترويج لها** ينضوي بجلاء لا لبس فيه في هذا السياق.

لما كان المختصون يذكرون أن عدد اللغات التي يتحدث بها العالم اليوم أكثر من 6000 لغة فإنه من السهل الخلوص إلى أنه لن يكون هناك "حوار حقيقي بين الثقافات" دون اللجوء إلى الترجمة. وإن الرابط الذي يربط بين الحوار والترجمة بلغ حداً من البداهة جعل مسألة الترجمة لا تطرح في حد ذاتها إلا نادراً، كما لو أنه مسألة بدهية.

يسلك بحثنا مسلكا معاكسا في فهم الأمور: إن الترجمة، بعيداً عن كونها مجرد آداة في خدمة الحوار بين الثقافات، توجه ذلك الحوار وتحوله حسب الطريقة التي يتم فيها تفعيله (أو عدم تفعيله). ليست الترجمة هي ما يسمح بالحوار بين الثقافات فحسب، إنها في غالب الأحيان ما يصنع قوام تلك الثقافات.

ولا تخرق الثقافة الصينية تلك القاعدة: فلا غيريتها التي زعموها جذرية بالنسبة إلى الثقافات الآخرى(وعلى وجه الخصوص بالنسبة إلى الحضارة الغربية)، ولا الاستعصاء المزعوم للغة التي تنقلها على الترجمة لم يشكلا ألبتة عقبة لا يمكن تجاوزها، على عكس ما نعتقده غالباً، ولكن التآزر بين الثقافات الذي يصبح[79] ضرورياً في زمن العولمة، التآزر لتحقيق التعدد–وهو أمر لا يمكن أن يحدث إذا اعتمدنا لغة دولية واحدة، أعني الإنجليزية.

الترجمة والغيرية:

إن كلمة الصين تُنطق باللغة الصينية زهون غيو zhongguo وتعني بلد (guo) الوسط (zhong)، ويمكن ترجمتها "إمبراطورية

الوسط". وإنه لمن الصحيح أن الصين كانت في مسار تاريخها مغلقة في غالب الأحايين في وجه المؤثرات الخارجية، ولكن هذا بعيد عن أن يكون صحيحاً في الحالات كلها. وآية ذلك أن عصور الانفتاح هي أقل ندرة، وأكثر أهمية مما نعتقده على وجه العموم. وإن ممارسة الترجمة هي مقياس جيد. عرفت الصين في تاريخها الذي يعود إلى خمسة آلاف سنة أربع موجات كبرى من الترجمة. وإذا تركنا جانباً الأمثلة الأولى المعروفة للترجمة، وهي تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت معزولة نسبياً، فإن الترجمة بدأت- منذ عصر السلالات الست (222-589)- تؤدي دورا حقيقياً، مع دخول البوذية إلى الصين: وتمتد حقبة الترجمة الأولى هذه على نطاق واسع على ما يقارب ألف سنة حتى نهاية السونغ (960-1279). يمكن، مع وعي الفارق، مقارنة تأثيرات حقبة الترجمات هذه بترجمة التوراة في العالم الغربي. إن البوذية، كما نعلم،[80] أصبحت واحدة من ديانات الصين الرئيسة. ولكن هناك نقطة مشتركة أخرى: هناك فارق بين لغة بالي Pali أو السنسكريتية، وهما لغتان هندو-أوربيتان كانت النصوص البوذية القادمة من الهند مكتوبة بهما، وبين اللغة الصينية كالفارق بين عبرية العهد القديم واليونانية التي كتبت بها الترجمة السبعينية، أو لاتينية الفولغاتا Vulgate، أو اللغة الألمانية لتوراة لوثر Lauther.

إن ترجمة الكتابات البوذية تتزامن مع أول لقاء كبير بين الصين وبين حضارة أجنبية. إن عدد النصوص المترجمة كان مرتفعاً: وتعد العناوين بالآلاف. أما فيما يخص أثرها في الثقافة الصينية فقد كان أثراً كبيرا ويتجاوز تجاوزاً كبيراً الإطار الديني ليضم تحت جناحه إطار الفلسفة، أوالأدب، أو الرقص، أوالرسم، أو النحت، ولكنه ضم أيضاً إطار اللغة. إذ يقدر الباحثون أن حوالي خمسة وثلاثين ألف كلمة

وفدت مع الترجمة لإغناء المعجم الصيني إبان تلك الحقبة، وحدثت أيضاً تغيرات إنْ على مستوى التركيب أو على مستوى الأسلوب[1]. ونضيف هنا أن مثل هذا المشروع الواسع لم يكن ممكناً إلا بالاستعانة بتقسيم للعمل المنظم علميا بين المترجمين والمراجعين والنساخ والمصححين، وهو تقسيم لا يقل أهمية عن عمل مدارس الترجمة في بغداد وطليطلة.

أما الموجة الثانية للترجمة فإنها بدأت في نهاية حكم سلالة **منغ** Ming (نهاية القرن السادس عشر) مع [81] مع وصول المبشرين النصارى مثل **ماتيو ريتشي** Matteo Ricci (1552–1610)، ولم يكتف هؤلاء المبشرون بإدخال الكاثوليكية إلى الصين، ولكنهم أدخلوا أيضاً العلم الغربي، سواء كان ذلك في مجال الفلك والرياضيات والفيزياء وصناعة الخرائط والطب أو الدراسات اللغوية. ولكن الدوي الأضخم للتأثير الغربي في المجتمع الصيني لن يحدث إلا مع الموجة التالية.

أما الموجة الثالثة من الترجمة فإنها جاءت في سياق مختلف جذرياً، وذلك عندما أجبرت القوى الغربية في منتصف القرن التاسع عشر الصين على الانفتاح على العالم الخارجي إبان **حروب الأفيون** les guerres de l'Opium التي بدأت عام 1840م، وإبان توقيع اتفاقية **نانكين** Nankin عام (1842م) واتفاقية **تينتسين** Tientsin (1858). طُرِحت مسألة اللغة بصفتها سلطة. وآية ذلك أن المادة

---

1 WANG, K., SHOUYI, F., "Translation in China: Motivating Force", Meta, tome XLIV, n 1, 1999, p. 7-62.
وانغ، ك.، شويي، ف.، "الترجمة في الصين، تحفيز القوة"، مجلة ميتا، المجلد44، العدد 1، 1999م، ص 7–26.

(ل) من اتفاقية **تينتسين** تفرض أنه "ينبغي أن تكون من الآن فصاعداً كل مراسلات أعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي لجلالة الملكة في الصين الموجهة للسلطات الصينية مكتوبة باللغة الإنجليزية، وستكون تلك المراسلات مرفقة مؤقتا بنسخة باللغة الصينية، ولكنه من المقرر أنه في حالة اختلاف في المعنى بين النصوص الإنجليزية والصينية فإن الحكومة الإنجليزية تعد المعنى المعبر عنه في النص الإنجليزي هو النص الصحيح. وينطبق هذا الشرط على الاتفاقية التي هي قيد المناقشة، وهي اتفاقية صُحِّح نصها الصيني تصحيحا مناسبا في ضوء الأصل الإنجليزي"[1].[82] إن اللاتساوق واضح كل الوضوح: فالنسخة الصينية من الاتفاقية ليست على قدم المساواة مع النسخة الإنجليزية، مما يعكس بلا أي غموض ميزان القوة بين طرفي الاتفاق. وفي هذا العصر أيضاً وعت طبقة الأنتليجنسيا أنه لا يمكن للصين أن ينافس الغرب إلا إذا تمثل معرفته. ويرى **لينغ كيشاو** Liang Qichao (1873–1929م)، وهو أحد أكثر المثقفين تأثيراً في ذلك العصر، أن هناك أمرين مرتبطين لا يصح أحدهما دون الآخر؛ فتعلم اللغات الغربية منذ الطفولة أمر لا غنى عنه، وينبغي ترجمة الكتب المكتوبة باللغات الغربية إلى اللغة الصينية[2]. ويفسر ذلك قائلا: واقع الأمر أن تفوق القوى الغربية يعود إلى عصر

---

1 النص مذكور في وانغ Wang وشويي Shouyi ، 1999، ص 18. أورده الباحث بالإنجليزية وترجمه إلى الفرنسية في تعاليقه.

2 FAN, S., "Highlights of Translation Studies in China since the Mid-Nineteenth Century", Meta, tome XLIV, n 1, 1999.

فان، س.، بروز دراسات الترجمة في الصين منذ منتصف القرن التاسع عشر، مجلة ميتا، مجلد 44، رقم 1، 1999م.

النهضة، في العصر الذي بدؤوا فيه ترجمة نصوص المؤلفين الإغريق واللاتينين إلى لغاتهم الخاصة: وكان بطرس الأكبر Pierre le Grand قد فعل الشيء نفسه لروسيا في القرن الثامن عشر، عندما ترجم الكتب الأمات في الثقافة الأوروبية، وسلكت اليابان في عصر ميجي Meiji المسلك نفسه في القرن التاسع عشر. وإذا كانت الصين في عهد كينج Qing (1644–1911م) اضطرت للتنازل في حين أنها كانت حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر تعد من القوى العظمى فإن تنازلها كان بسبب التأخر الذي حصل في إتقان العلوم والتقنيات التي قام عليها التفوق العسكري والاقتصادي والسياسي للأمم الغربية الكبيرة.

[83] لقد ترجمت حينئذٍ الكتب الغربية الأساسية في تلك المجالات (وعلى وجه الخصوص في الفلسفة والعلوم الإنسانية) ووُزِّعت على مثقفي الصين كلها. إن ضخامة هذه الموجة الثالثة من الترجمة وتأثيرها كان كبيراً. إنه لمن الصحيح، وخصوصاً على المستوى السياسي أنه لم يكن أحد يتخيل أن إسقاط السلالة الحاكمة في عام 1911، وإعلان الجمهورية في العام الذي تلاه، أو إعلان جمهورية الصين الشعبية في عام 1949 كان بالإمكان أن يحدث إذا استبعدنا تأثير المفاهيم الغربية التي انتقلت عبر الترجمة. إن التاريخ المعاصر للصين كان بدون الترجمة سيكون بكل بساطة غير مفهوم.

ما يُترجم وما يستعصي على الترجمة

أما الموجة الرابعة من الترجمة في الصين فقد كانت في نهاية الخمسينات، وهي المرحلة التي ما زلنا نعيش فيها اليوم. وهي أيضاً

موجة مرتبطة بتقلبات التاريخ: لذلك نجدها قد توقفت إبان الثورة الثقافية لتعود بعدها إلى الانطلاق من جديد. بيد أن هناك، قبل أن نتبنى وجهة نظر العولمة، مسألة تحتاج إلى معالجة مسبقة: إنها مسألة استعصاء اللغة الصينية على الترجمة[84] جذرياً، سواء كان ذلك مفترضاً أو واقعياً، اللغة الصينية التي يبدو أن رموزها الكتابية هي تجسيد رمزي لها. ونلفت الانتباه بادئ ذي بدء إلى أن اللغة الصينية، كما بينا ذلك للتو في القسم السابق، لا يستحيل عليها بأي حال من الأحوال أن تُترجم إليها النصوص على اختلاف أنواعها (الأدبية أو الفلسفية أو العلمية أو التقنية، إلخ)، حتى لو كانت تلك النصوص تنتمي إلى أكثر العصور بعداً وذلك انطلاقاً من أكثر اللغات التي تختلف عنها اختلافاً جذرياً. وإذا كانت الترجمة ممكنة في أحد الاتجاهات فإننا نتساءل لم لا تكون ممكنة في الاتجاه الآخر. فإذا قيل إن الكتابة الصينية تطرح مشكلات نوعية فإن ذلك مؤكد ولكنه لا ينبغي المبالغة في تهويل ذلك: وآية ذلك أن شيئاً لم يمنع اليابانيين من أن يستعيروا الأشكال الصينية لكتابة لغتهم، مع أن اللغة اليابانية تبتعد تصنيفياً عن المندرينا Mandarin كما تبتعد الفرنسية عن الهنغارية أو التركية. وعلى العكس، سيكون من الخطأ أيضاً الزعم بأن كل شيء سيكون قابلا للترجمة كما هي الأمور في الأشياء الشفافة.

إن المشكلات التي واجهها المترجمون الصينيون على مر تاريخهم الطويل تشبه تلك التي واجهها نظراؤهم الغربيون حتى إن نظرية الترجمة كما صيغت في الصين قريبة كل القرب من تلك التي صيغت في الغرب (بالار Ballard، 1995م)، وتفضي إلى التساؤلات نفسها حول ما يستعصي على الترجمة. ولتوضيح هذه النقطة ننطلق من

الترجمات الصينية[85] لرواية **الأحمر والأسود**، ومن النقاش المشوق الذي أثارته تلك الترجمات في عام 1995م، وهو نقاش يذكر بذلك الذي أثارته الترجمة الفرنسية لأعمال **دوستيفسكي** Dostoïevski، وهي الترجمة التي أنجزها في العصر نفسه في فرنسا **أندريه ماركوفيتش** André Markowicz (انظر **أوستينوف**، 2007م، ص 64-65). لقد شهدنا، خلال بضع سنوات فقط، كانت خلالها الصين تشهد حقبة ترجمة أدبية لم تشهد لها مثيل من قبل في تاريخها، شهدنا، ظهور ما يقارب عشر ترجمات جديدة لرواية ستاندال Stendhal. وإن للنقاش الذي تلا ذلك أهمية كبيرة سواء على المستوى الأدبي الخالص أو من وجهة نظر الرؤية البين ثقافية، أو الاجتماعية أو التاريخية. لقد وضعت المجلة الأسبوعية (إقرأ) Lire التي تصدر في مدينة **شانغهاي** Shanghai بالتعاون مع مركز الترجمة في جامعة **نانجينغ** Nanjing استبانة نورد بعضا من الأسئلة الرئيسة التي طرحتها على القراء[1]:

- **الأحمر والأسود**، لها اليوم في الصين أكثر من عشر ترجمات صينية. ما رأيك في هذه الظاهرة؟
- هل ينبغي على الترجمة الأدبية أن تنقل القيم الغريبة، محافظة على غرابتها أم أنه من الأفضل تكييفها؟
- هل ينبغي على الترجمة الأدبية أن تُغلِّب ميزات اللغة الهدف لتتجاوز اللغة الأصلية؟

---

1 Xu, J., "Réflexions sur les problèms de la traduction", Meta, Tome XLIV, n 1, 1999, p. 50-51.
خيو ي.، "تأملات في مشكلات الترجمة"، مجلد 44، ع1، 1999م، ص 50-51.

- هل أنت تحب الترجمة القريبة من البنية التركيبية للغة الأصلية أم أنك تفضل تلك التي تعبر بصينية خالصة مغيرة البنية التركيبية للنص الأصلي؟

وقد جاءت الإجابات من أشخاص ينتمون إلى طبقات اجتماعية مهنية متنوعة كل التنوع (موظفون، عمال، تقنيون، مهندسون، إلخ.) كما أنها أتت من الطلبة، ومن المدرسين، ومن الكتَّاب (مثل سو تونغ Su Tong، مؤلف رواية أزواج وسرائر Épouses et concubines)، كما أنها أتت من مترجمين ومن منظري الترجمة.

لقد أوجز **هاو يون** Hao yun، أحد مترجمي رواية الأحمر والأسود مسار عمله الذي تمثل في المحافظة على حرفية النص الأصلي بطريقة تصويرية (المصدر السابق، ص52): "إذا كان الأصل طحلباً فإنني أحاول أن أقدمه للقارئ الصيني بطعمه الأصلي دون أن أغيره ليصبح معكرونة شريطية مع أن الطحلب ربما يكون أكثر صعوبة على الهضم من المعكرونة عند القراء"،

أما **خيو يوانشونغ** Xu Yuangchong ، وهو مترجم آخر للكتاب نفسه فإنه يضع نفسه في الطرف الآخر من الطيف؛ إنه طرف الترجمة المكيفة. ما دامت الترجمة حالة تنافس بين نظامين ثقافيين فإن منتهى الفن عند المترجم يكمن في أنْ يُغلِّب اللغة الهدف بطريقة تصبح معها الترجمة في نظر لغة الأصل إعادة إبداع. وأما فيما يخص اللغة فإن موقف **خيو يوانشونغ** واضح لا لبس فيه عندما يؤكد في التقديم لترجمته قائلاً: "أجتهد على الدوام في ترجمة الأحمر والأسود بلغة صينية أصيلة".[87] ولكن هل يفضل الجمهور الصيني الترجمة التي تغلب عليها صبغة المركزية الصينية؟ إنه أمر مستبعد كما تثبت ذلك الإجابة التالية (المصدر السابق، ص 54): "إن البنية الداخلية لجملة العمل

الأدبي الفرنسي تبدي لنا في جانب من الجوانب طريقة التفكير الفرنسية؛ فإذا استبدل بها المترجم كما يحلو له بعبارة فرنسية خالصة (بما في ذلك الاستعارات والأمثال)، فإن كثيرا من المعلومات المهمة في جانبيْ التفكير والدلالة، وفي جانب قيم الأشكال على المستوى الجمالي معرضة لخطر أن تظل مجهولة لدى القارئ الصيني."

ولما كان الموضع هنا ليس موضع التوسع في معالجة المشكلات التي تطرحها ترجمة عمل من الأعمال فيه من التعقيد ما فيه فإننا نكتفي بمثال واحد: إن الجملة الأخيرة من رواية الأحمر والأسود هي قول المؤلف: "كانت السيدة رينال Rênal برة بوعدها. إنها لم تحاول بأي طريقة من الطرق إنهاء حياتها، ولكنها ماتت بعد ثلاثة أيام من موت جوليان Jeulien وهي تقبل أبناءها."

لقد استفاد **خيو يوانشونغ** في ترجمته من عنوان الحكاية رقم XCVIII في رواية **حلم في المقصورة الحمراء**[1] لترجمة نهاية رواية الأحمر والأسود فقال:"إن روح الأخيَّة المسكينة ذات اللآلئ الخمرية عادت لتتهاوى من سماء الندم الذي فات أوانه[2]. إن النقد الوحيد الذي يمكن أن نوجهه لهذا النمط من الترجمة هو أنه يوهم، عندما يمحو أي أثر للغيرية، أنه يمكن للغات، وأكثر منها على وجه العموم[88] للثقافات، أن يحل بعضها مكان بعض، وإن لذلك بالتأكيد تبعاته.

---

1 هي رواية أدبية صينية وتعد من أفضل الروايات الكلاسيكية الصينية.

2 YUAN, x., "Débat du siècle: fidélité ou recreation", Meta, Tome XLIV, n 1, 1999, p. 66.

يوان، خ.، "حوار القرن: اتباع أو ابتداع"، مجلة ميتا، مجلد 44، رقم 1، 1999م، ص 66.

إنها الإشكالية نفسها تطل برأسها من جديد، إنها إشكالية إيجاد المعادلات في مكان آخر في مجال ترجمة العلوم الإنسانية، ذلك ما يظهر من أحد أسئلة **مشروع ترجمة العلوم الاجتماعية**: "إلى أي مدى ينبغي على ترجمة في مجال العلوم الإنسانية أن تجتهد لإعادة إنتاج بلاغة اللغة المصدر وأسلوبها المميز؟ وعلى الرغم من أنه ليس هناك إجابة مطلقة فإن هذا السؤال سؤال مركزي، وهو يثير سؤالاً آخر مرتبطاً به: ما نسبة المعنى التي ينقلها شكل نص ما من نصوص العلوم الإنسانية؟ ألا يفقد النص جانباً نسبة من مضمونه عندما يفقد شكله الأصلي؟" (هيم وتيموسكي Heim et Tymowski 2006، ص 8). إن في طرح السؤال إجابة عنه: وإذا كنا اقتبسنا النص السابق فهذا لا يعني أننا نشاطر صاحبه كل ما جاء فيه، ولكن لأن ما يعبر عنه هو أيضاً وضعية عدد كبير من المترجمين والترجمات الصينية.

إذن، فليسمح لنا القراء أيضاً بأن نورد هنا الاقتباس التالي على الرغم من طوله، وهو اقتباس نجده في بداية **التوصيات** ومأخوذ من كتاب حول التطورات الأخيرة في الصين (مصدر سابق، ص3): "إبان أكثر من قرن، اجتهد عدد من المثقفين[89] الصينيين في أن يترجموا الأدب الغربي، وفي أن يُدْخِلوا ثقافة ذلك الأدب في المجال الصيني. لقد كانت وطأة الأحداث السياسية، والنزاعات الدولية، والحروب الأهلية، وغير ذلك من الاضطرابات. على المحاولة المضنية لإدراج فكر الأدب الغربي في الثقافة الصينية، كانت شديدة؛ لقد جعلته يسير بخطى بطيئة كل البطء، ولكنها لم تستطع ألبتة إيقافه تماماً. يستطيع القراء الصينيون اليوم الوصول في لغتهم الأم إلى عدد كبير من كتب الأدب الغربي والفلسفة الغربية، وإلى الفكر السياسي

والاقتصادي في الغرب، وإلى النصوص الكلاسية وإلى الأفكار التي تتردد اليوم في أنحاء العالم.

ولكن محاولة التملك تلك كانت في اتجاه واحد. لم تعكس الترجمات الغربية للفكر الصيني وللثقافة الصينية لا عمق التقاليد الصينية الموغلة في القدم، ولا الدور الذي تؤديه الصين في التاريخ العالمي المعاصر. وإذا كانت الأعمال التخييلية والشعر الكلاسي قد وجدا مترجمين متحمسين ومجربين فإن الاهتمام بالتاريخ والفلسفة حظي باهتمام أقل من ذلك بكثير...ولكي نضرب مثلاً من أكثر الأمثلة دلالة نقول: إنه لا يوجد أي ترجمة إنجليزية لأهم أعمال **هو شي Hu Shi**، أحد أبرز وجوه الليبرالية الصينية الأولى؛ ولا يوجد أيضاً أي ترجمة لمحاولات **لو خوان Lu Xun** التي أثرت تأثيرا لا يقل فعالية عن تأثير رواياته:ولا نجد أيضاً أي ترجمة للأعمال التاريخية **لشين ينغ Chen Yink**... في حين أن الأدب الصيني حظي منذ الثمانينات بشهرة[90] على المستوى العالمي جعلته أهلاً للترجمة السريعة والكثيفة إلى اللغات الآخرى، ولم تكن كذلك حالة النقاش الثقافي المعاصر الذي لا يصل على وجه العموم إلى العالم الخارجي إلا عبْر تغطية إعلامية فقيرة ومتقطعة"[1]. يمكن أن نستخلص من هذه الاقتباسات ومما سبق عدداً من الدروس: وسنحرص في إطار هذا المقال على الإشارة إلى عدد منها. أولها: هو أن الترجمة لا تنحصر في الترديد الآلي لما يوجد في اللغة أو في الثقافة (في الانطلاق)، ولكنها تساعد أيضاً في

---

1 CHAOHUA, W., (dir), On china, Nany Path, Londres et New York, Verso, 2003, p. 9-10.

شاوشوا، و.، (إشراف)، صين واحدة وعدة مسارات، لندن ونيويورك، فيرسو، 2003م، ص 9-10.

تكوّن الفكر نفسه. إن الترجمة كما عبر عن ذلك ببراعة **يوان خياويي** Yuan Xiaoyi (مصدر سابق، ص 70) "هي التي تبدع لنفسها فضاء من اللغة له تاريخه الخاص". وإن الكلمات التي تبدو في الظاهر أكثر الكلمات بساطة هي هنا لتؤكد ذلك: "إننا اليوم، على سبيل المثال، لم نعد نشك ألبتة في العلاقة المتبادلة بين كلمتي "self" وziwo لأن المعجم يثبت ذلك. ولكن هذه العلاقة ليست مثبتة إلا في بداية القرن العشرين، في سياق الانطلاقة الثانية للترجمة في الصين". (مصدر سابق)[1]. ونحن نرى أن بقية النقاط كلها تتفرع عن النقطة الأولى هذه.

والدرس الثاني: انطلاقا مما سبق لا نرى هناك ما يمنع من وجود تبادل أكثر بين ثقافة وثقافة. وما يصدق على الثقافة الصينية بالنسبة إلى الثقافة الغربية يصدق[91] أيضاً للثقافات الآخرى. وإذا كانت أكثر المفاهيم تعقيداً تمكنت في الماضي الانتقال بادئ ذي بدء من الشرق إلى الغرب بين ثقافات مختلفة كل الاختلاف كثقافة الهند والصين والعالم العربي إلى العالم الإغريقي اللاتيني، وفي مرحلة متأخرة في الاتجاه المعاكس. إنه، والحالة هذه، من المأمول، لكي لا نقول: إنه مما لا غنى عنه ألا تحدث تلك الحركة اليوم في اتجاه واحد (انظر **سِن** Sen 2007). وتنطبق هذه الملاحظة لا تنطبق، خصوصاً، على المناطق الثقافية الكبرى فقط، ولكنها تصح أيضاً على المناطق التي هي أقل انتشاراً سواء أكان ذلك على المستوى التاريخي أو الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي.

---

1 لقد أعدنا الكتابة بالحروف اللاتينية الحرفان المتناسبان مع "self" بالصينية zi (النغمة الرابعة)+ wo (النغمة الثالثة).

الدرس الثالث: ليست الترجمة إعادة إنتاج فحسب، بل هي إنتاج ينبغي أن يخضع للتحليل، لا من وجهة نظر التحويلات التي تحدثها بالضرورة فقط، وإنما من وجهة نظر التأثير الذي تتركه في الثقافة المستقبلة. وآية ذلك أن هذه الثقافة المستقبلة تخضع بطبيعتها لمعايير أخرى غير تلك التي تخضع لها الثقافة المرْسِلة. إن الترجمة ليست ألبتة عملية محايدة، "شفافة".

خاتمة.

لا يمكننا إلا أن نفرح لتبني اليونيسكو مؤخراً الاتفاقية حول حماية تنوع التعبيرات الثقافية والترويج لها، وللوعي بأهمية "الحوار بين الحضارات". بيد أن ما سبق يظهر بجلاء أن تطور مثل هذا الحوار تطورا كافيا بعيد المنال على المستوى الكوني. إن المبدأ القائل بأن للترجمة في هذا المجال دوراً جوهريا تؤديه هو مبدأ يظهر أكثر فأكثر أنه قول صحيح. إلا أن هناك في هذا السياق عقبتين رئيسيتين ينبغي تجنبهما: تتمثل الأول في جعل الإنجليزية هي اللغة المرجعية الوحيدة؛ والثانية، وهي أكثر خطراً أيضاً، أن نعتقد أنه يكفي أن نترجم لكي نتمكن بذلك الحوار تلافي الأزمات من الطراز الثقافي في القرن الحادي والعشرين.

إن الترجمة شرط ضروري للارتقاء بالحوار مع كل الإمكانات المتاحة، ولكنها غير كافية: وهو سبب آخر إضافي للاهتمام بالترجمة بصفتها التي أشرنا إليها.

- BALARD, M., De Cicéron à Benjamin, traductions et réflixions, Lille, PUL, 1995.
- Convention sur la protection et la promotion de la diversité des expressions culturelles, Paris, Éd. De l'Unesco, 2005. En ligne sur http://unesdocunesco.org.
- HEIM, M. H., TYMOWSKI, A, W., (dir), Recommandations pour la traduction des texts de sciences himaines, trad. De l'anglais par Bruno Poncharal, New York, American Concil of Learned Societies, 2006. En ligne sur <www. Acls.org/sstp.htm>.
- OUSTINOFF, M., La traduction, Paris, PUF, "Que sais-je?" n 3688, 2003.
- SEN, A., L'Inde, histoire, culture et identité, trad. De l'anglais par C. Cler, Paris, Odil Jacob, 2007.

[95] الترجمة من العربية وإليها في عصر العولمة

فؤاد لعروسي Foued Laroussi
إبراهيم البلوي Ibrahim Albalawi

مأخوذة من العدد 56 من مجلة هرمس
الترجمة والعولمة، الجزء 2، 2010م.

"لقد حدث الارتباط منذ زمن مبكر، ومنذ تلك اللحظة أصبحت ترجمانه..."

جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau
الاعترافات Les Confessions (1782–1789م).

كتب دومينيك ولتون Dominique Wolton (2006م، ص35) "إن التنوع الثقافي هو الحدود الجديدة للعولمة"؛ والعولمة ليست اقتصادية فقط ولكنها أيضاً إنسانية واتصالية. إن انفتاح المجتمعات بعضها على بعض يتسبب بعدم استقرار ثقافي؛ وذلك لأن الهيمنة المتمثلة اليوم في سيطرة الثقافة الأنجلو-أمريكية تشعر بها المناطق الثقافية الآخرى (**الإسبانية، والبرتغالية، والعربية**[96]...) وكأنها تهديد لهوياتها. ومهما بدا ذلك غريباً فإن المجتمعات والجماعات والأمم، كلما تقاربت بفضل أدوات

الاتصال كالجوال أو الأنترنت أو التلفازات الفضائية فإننا نحس بالهوة الثقافية التي تفصل بينها. وليس من المدهش في هذا السياق أن نرى العولمة تترافق بحركة ترجمة لم يسبق لها مثيل.

والصفحات القادمة مخصصة والحالة هذه لحركة الترجمة في العالم العربي. وسيكون عملنا وسع الطاقة منصباً على تقديم تشخيص قريبٍ من الواقع ما أمكن ذلك. إن هذا النص لا يطرح الأسئلة فقط ولكنه يحاول الإجابة عنها.

نظرة على مصطلح: ترجمة

يمكن أن يكون البحث في أصل مصطلح ترجمة موضوع هذا المقال كله. لكي نفهم الجذر المخصص للترجمة بالعربية ينبغي العودة إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ وهو العصر الذي كانت فيه اللغة الآرامية (إحدى اللغات العروبية) لغة إدارية للإمبراطورية الفارسية واللغة الكونية للعصر. ومن القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي كانت الآرامية اللغة المكتوبة الرئيسية في الشرق الأوسط. وفي فلسطين[97] على وجه الخصوص كانت العبرية تلجأ إلى **الترجمونو** (المترجم) لتفسير قراءات الكتابات العبرية المقدسة. وقد سميت تلك التفاسير **الترجوم**.

إذن، إن المصطلح الآرامي (ترجمونو) هو أصل كلمة ترجمان العربية. وقد ذكر ابن منظور (1232–1311) في الجزء الثاني عشر من كتابه "لسان العرب"[1] معنيين لهذه الكلمة: 1) "المفسر للسان"، ونذكر

---

1 جاء في لسان العرب (ترجم): ترجم: التُّرْجُمَانُ وَالتَّرْجَمَانُ: الْمُفَسِّرُ لِلِّسَانِ. وَفِي حَدِيثِ هِرَقْلَ: قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ، التُّرْجُمَانُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: هُوَ الَّذِي يُتَرْجِمُ الْكَلَامَ أَيْ: يَنْقُلُهُ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى، وَالْجَمْعُ التَّرَاجِمُ، وَالتَّاءُ وَالنُّونُ زَائِدَتَانِ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ وَتَرْجَمَ عَنْهُ.

في هذا الخصوص أن أحد صحابة رسول الله(ص)، عبد الله بن عباس كان يلقب: "ترجمان القرآن (حرفياً، "مترجم القرآن، وبعبارة آخرى، مفسره) لأنه كان متعمقاً في معرفة القرآن؛ 2) مترجم الكلام، أي الذي ينقله من لغة إلى آخرى، ومن هنا اشتقت كلمة ترجمان ومعناه: المترجم".

ونذكّر هنا أن هذه العارة من العربية أوجدت في اللغات الهندو أوروبية جذراً غنياً كل الغنى. ونشير على سبيل التمثيل لا الحصر إلى الأمثلة التالية: dragoumanos (الإغريقية البيزنطية)، trujaman et truchiman (الإسبانية)، drogman, drugement, truchement (بالتتالي: الفرنسية في القرن الثاني عشر، والرابع عشر، والفرنسية المعاصرة)، Drutzelmann (بالألمانية القديمة) أو Quartschen وTratshen (بالألمانية المعاصرة). وقد استعارت لغات آخرى من غير الأسرة الهندو أوروبية هذا المصطلح مثل اللغة التركية.[98]

كان مصطلح ترجمان يطلق إبان الدولة العثمانية على المترجم بين الأوروبيين وشعوب الشرق الأوسط. وكان يطلق في دلالة أضيق على المترجمين الرسميين للباب العالي[1] الذين يتولون عملية الترجمة عن الدبلوماسيين الغربيين. ومنذ عام 1665م كان كبار المترجمين يرأسون المكاتب الدبلوماسية العثمانية؛ وقد شغل هذا المنصب على الدوام المقدونيون (إغريق القسطنطينية).

كان هذا الاستعراض السريع لتنقل مصطلح الترجمة يمثل بجلاء الدور الذي أدته الترجمة في كل الأزمان، ونعني تنقل المعارف.

1 حكومة السلاطين الأتراك القدماء.

مكانة الترجمة في الثقافة العربية

لقد احتلت الترجمة على الدوام مكانة مركزية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية من العصر الوسيط. ولكي نفهم هذه المقاربة التعاقبية للأحداث المرتبطة بحركة الترجمة، رأينا من المفيد أن نورد مختصرا تاريخيا لنوضح الأمر للقارئ غير المختص. يمكن أن نعرض تاريخ العرب في سبع مراحل كبرى: 1) العالم العربي قبل الإسلام وفي صدر الإسلام (القرن العاشر قبل الميلاد حتى سنة 661م)؛ 2) الدول العربية: الأموية (661-750م) والعباسية (750-905م): [99] عصر القوة، وعصرالشقاق (905-1055م)؛ 3) الدول غير العربية (1055-1258م)، التفرق في الغرب والتجمع في الشرق (1258-1512م)[1]؛ 5) الدولة العثمانية (1512-1774م)؛ 6) انقسام الدولة العثمانية والاستعمار الأوروبي (1774-1945م)؛ 7) الاستقلال السياسي (1945-1963م).

وعندما نتحدث عن العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية فإننا نقصد بالتحديد الإشارة إلى العصر العباسي الأول (750-905م). لقد كانت الترجمة نشطة ومزدهرة في هذه الحقبة على وجه الخصوص. وقد أدت دورا رئيسا في حفظ الأعمال الثقافية القديمة، الإغريقية على وجه الخصوص، وفي نقل تلك الثقافة من الشرق نحو الغرب. إننا نرى، لا رغبة في الجدل حول الموضوع، أن العرب لم يكونوا في ذلك العصر مجرد ناقلين نقلوا الثقافات القديمة (الإغريقية والفارسية

1 نشير عبْر هذا العنوان إلى عدد من الأحدث: حرب الاسترداد الإسبانية، الدولة الحفصية، المرينيون، العبد الوهابيون في إفريقيا الشمالية؛ المماليك في إسبانيا وفي سورية؛ البيليك التركما في الأناضول، والمغول في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

والهندية) إلى الأوروبيين، ولكنهم أغنوها وطوروها، ومحصوها بإخضاعها لتفكيرهم ولطريقتهم في المحاكمة العقلية. ونذكر أولئك الذين يصل بهم الأمر إلى حد نفي إسهام الحضارة العربية الإسلامية في تطوير العلوم المعاصرة والتقنيات في أوروبا منذ عصر النهضة، مستنتجين من ذلك أن أوروبا تدين بنهضتها إلى اليونان القديمة مباشرة، نذكر هؤلاء بواقعتين لا يمكن إنكارهما، تدفعاننا إلى معارضة هذه المزاعم:1) لقد تم العثور إبّان[100] حرب استرداد[1] الأندلس على كثير من المخطوطات العربية التي تُرجمت (في طليطلة 1085م على سبيل المثال)؛ 2) لم يكن القرنان اللذان استمرت خلالهما الحروب الصليبية قرني حروب وإسالة دماء فحسب، بل شهدا ظهور تبادلات ثقافية عديدة واستعارات من كل الأنواع.

كانت الدولة العباسية في القرن العاشر تمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، وتسيطر على بلاد وأقاليم في القارات الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا. وإذا أخذنا في الحسبان البلاد غير العربية التي فتحها المسلمون فإن المجتمع العربي الإسلامي أصبح متعدد الأعراق. ومنذ ذلك الحين أخذ الترك والفرس والبربر والأكراد يبحثون عن حلول للعديد من المشكلات التي واجهتها مجتمعاتهم في ذلك العصر، لقد أنتجوا بتضافر جهودهم أعمالا علمية رائعة في مختلف المجالات، كل في مجاله العلمي الخاص (طب، فلك، زراعة، فلسفة، أدب...). وقد بدأت الترجمة، في هذا السياق المناسب لإنتاج المعارف، تفرض نفسها

1 Reconquista: كلمة إسبانية وبرتغالية تعني الاسترداد. بدأت في عام 718 وانتهت في الثاني من يناير (كانون الثاني) 1492م، عندما فرديناند الثاني داراغون وإيزابيل دو كاستيلل "الملكان الكاثوليكيان" بطرد أخر الحكام المسلمين من الجزيرة الإيبيرية. لقد ترك الحكم الإسلامي تأثيرات عميقة في البرتغال وإسبانيا على حد سواء.

لا بصفتها أداة من أدوات إنتاج المعرفة العلمية فحسب، بل بصفتها أيضاً وسيلة من الاتصال المتبادل بين الشعوب العربية وغير العربية التي اعتنقت الإسلام، وهي تتقن العديد من اللغات كاليونانية والهندية والسريانية والفارسية والتركية.

والقول الصحيح هو أن الترجمة لم تبدأ مع حكم العباسين. لقد كان الأمويون [101] قد شجعوا العلماء من قبل على ترجمة كتب الطب والفلك والرياضيات والفلسفة من اليونانية على وجه الخصوص، ولكنهم لم يشجعوهم على ترجمة الكتب الأدبية والروائية لاعتبارات دينية: لأنه هذه الكتب تقوم على معتقدات وثنية حُكِم عليها بأنها تخالف مبادئ الإسلام. وأول الكتب التي ترجمت في العصر الأموي عن الفارسية كان كتاباً في الطب.

وقد عرفت الترجمة مرحلتين متمايزتين: 1) الأولى، تلك التي كانت بمبادرات فردية، بدأت إجمالاً بعد عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم (684–685م) وانتهت مع الخليفة العباسي المهدي (775785م). وكان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (685–705م) قد أمر بترجمة دواوين كانت موجودة في العراق وسورية ومصر، وكانت مكتوبة على التوالي بالفارسية واليونانية والقبطية. 2) أما المرحلة الثانية فإنها تتوافق مع مأسسة الترجمة مع تأسيس **بيت الحكمة**. وقد بدأت مع الخليفة العظيم هارون الرشيد (786–809م)، وازدهرت في مدة حكم ولده المأمون (813–833م) واستمرت حتى حكم المعتضد (892–902م).

لقد عرفت الترجمة على وجه الخصوص، والثقافة على وجه العموم في هذه المرحلة وعلى وجه الخصوص في عهد المأمون، ازدهاراً كبيراً. أولى هذا الخليفة[102] العلماء اهتماما كبيرا، وخصوصاً أولئك الذين

كانوا يعرفون اللغات الأجنبية، وأحاط نفسه في بغداد بعلماء من كل المعتقدات، وكان يعاملهم باحترام كبير. ويُحكى أنه كان يكافئ المترجمين بوزن كتبهم المترجمة ذهباً. كان المأمون محبا للعلم فأسس بيت الحكمة الذي يعد أول أكاديمية حقيقية لترجمة الكتب الإغريقية والسريانية، وأنشأ مكتبة ومرصدا فلكيا (829م) في أكثر أحياء بغداد ارتفاعاً. أما على المستوى الديني فقد رفع شأن المعتزلة[1] وأعلن الاعتزال مذهبا للدولة بعد أن كان قد اعتنقها من قبل.

لقد شهدت هذه المدة التي تعد العصر الذهبي للترجمة ولادة مترجمين ما رسوها في رحاب بيت الحكمة الذي اختص في الترجمة انطلاقاً من ست لغات: الإغريقية والفارسية والهندية والسريانية والعبرية والقبطية. وقد كان كثير من المترجمين يمارسون عملهم في رحاب هذه الأكاديمية، ولن نستطيع لضيق المكان المخصص لهذه المقالة استعراضهم جميعاً. لقد كان أكثرهم شهرة حُنين بن إسحاق (810-873) مؤلف أقدم كتاب في طب العيون، طبيب وفيلسوف، ويعد أكثر المترجمين إلى العربية شهرة في كل الأزمان. كان يتقن، فضلاً عن العربية، الإغريقية والسريانية والفارسية، وهو مؤلف ما يقارب مئة كتاب. وقد أسند إليه الخليفة المأمون إدارة بيت الحكمة. ومنذئذٍ أحاط نفسه بنخبة مختارة من الأطباء؛ من بينهم الطبيب المشهور[103] الرازي (841-861م). لقد ترجم عددا من الكتب الإغريقية في المجالات كلها، وخصوصا كتاب عالم التشريح الإغريقي **جالينوس**

1 مذهب تركت فيه عقلانية أرسطو تأثيرات عميقة. وهو يؤكد أن الممارسة الدينية التي يقوم كل ما فيها عن القرآن ينبغي أن يتحكم بها العقل. لقد كانوا يعارضون الفرضيات التقليدية التي ترى أن المسائل المطروحة كلها ينبغي أن تجد إجاباتها في القراءة الحرفية للقرآن والحديث.

Claude Galien (131–201م)، ما يلزم الطبيب الذي يريد بلوغ الذروة في أن يصبح فيلسوفاً، وبعض كتب **أبقراط** Hippocrate. وقد كان ابنه إسحاق بن حنين مترجماً مشهوراً أيضاً. ترجم كتاب **العناصر** في الهندسة لعالم الرياضيات الإغريقي ومؤسس مدرسة الإسكندرية **إقليدس** Euclide.

إبَّان هذه الحقبة المزدهرة للثقافة العربية قام الناثر العربي ذو الأصول الفارسية عبد الله بن المقفع بترجمة مجموعة من الحكايات عنوانها العربي كليلة ودمنة[1]، وهي توليف لحكايات على ألسنة الحيوانات Panchatantra (حكايات هندية) ما زالت حتى يوم الناس هذا واحدة من أوابد الأدب العربي الكلاسي. لقد وضع **ابن المقفع** حكاياته على ألسنة الحيوانات، وقدم للقارئ لوحة بارعة ونقدية للمجتمع العربي في عصره.

وبعد موت الخليفة المأمون فقد بيت الحكمة مجده، ولكن الخليفة المتوكل (847–861م) سرعان ما أعاد افتتاحه وعين **حنين بن إسحاق** مديراً له. وظلت تلك المؤسسة ناشطة في مجال الترجمة حتى خرب التتار بغداد في عام 1258م وحرقوا كتب بيت الحكمة.[104] وفي نهاية العصر الوسيط توقفت تقريباً حركة الترجمة إلى العربية، واقتصرت الترجمة على بعض النصوص الدينية التي استمر المترجمون المسيحيون اللبنانيون يترجمونها من اللاتينية. وانطلاقاً من هذا التاريخ بدأت الحركة العكسية: لقد بدأ المترجمون الأوروبيون يعيدون ترجمة الكتب التي ترجمها العرب والمسلمون، وشروحها وما يتفرع عنها إلى

1 كليلة ودمنة هما ضبعان (باللغة السنسكريتية karataka et Damanaka). وهما بطلا الحكاية الأولى من الكتاب الأول. وهما أصل عنوان الكتاب في نسخته العربية–الفارسية.

اللاتينية في أول الأمر، ثم مباشرة إلى ألسنتهم[1] التي ولدت فيما بعد. أما مدرسة طليطلة (في إسبانيا)، وهي المدرسة التي نشأت فيما بعد، فإنها أدت دوراً رئيساً بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي. وبدأت أوروبا تعرف علماء مثل: **الرازي، وابن رشد، والفارابي**[2]**، وابن سينا، والخوارزمي**[3].

وتراجعت اللغة العربية إبان الحكم العثماني. ولكنها أصبحت من جديد موضع الاهتمام بفضل الترجمة انطلاقاً من اللغات الأوروبية. لقد عرف لبنان بدءا من منتصف القرن التاسع عشر حركة ترجمة مهمة في مجال الصحافة والتعليم. فالجامعة الأنغلو-أمريكية اختصت في مجال الترجمة العلمية، في حين أن جامعة القديس يوسف فضلت مجال الأدب والدين.

وفي العصر نفسه ثار جدل بين المثقفين العرب الذين انقسموا حول المسار الذي ينبغي اتخاذه في وجه التأخر الذي طال اللغة العربية. وكان هناك توجهان بارزان: 1) أنصار تشجيع الألسنة الأم (العامية) على نمط اللغات الرومانية في أوروبا، وهي لغات تولدت من [105] تطور اللاتينية التي هي لغتها الأم وعللوا اقتراحهم بالقول: إننا لا نستطيع أن نفرض على أي بلد عربي أن يتحدث بلغة ويكتب بلغة آخرى؛ 2) أنصار العربية الأدبية، المرتبطين ببعدها المقدس وبقدرتها على الحفاظ على تماسك الأمة، وعلى نشر الثقافة العربية القديمة.

---

1 مرادف "للغة".

2 الفارابي هو فيلسوف عربي يسمونه المعلم الثاني (بعد أرسطو).

3 الخوارزمي هو عالم راضيات، مؤلف اللوغارين: باللاتينية القروسطية ألغوريتزموس algorithmus المشتق من اسمه.

ويسمي المختصون بعلوم اللغة هذه الظاهرة مستخدمين المصطلح التقني "الازدواجية" (الثنائية اللغوية). وفيما يخص العربية هناك التنوع الأدبي (أو الكلاسيكية) من جهة، والتنوع اللهجي من جهة آخرى. أما فيما يخص "الازدواجية اللغوية العربية (في المغرب على وجه الخصوص)، فإن موقف وليام مارسيه William Marçais[1] يمثل بجلاء اتساع الأزمة اللغوية في العالم العربي حتى لو أن نغمة المقال تعكس النغمة التي كانت سائدة في عصر الاستعمار: "تلك هي العربية في نظري. لغة واحدة أم لغتان؟[...] لنقل إنها حالتان للغة نفسها، مختلفتان كل الاختلاف حتى إن إتقان إحداهما لا يفترض بالضرورة معرفة الآخرى؛ إنهما متشابهتان كل التشابه حتى إن معرفة إحداهما تسهل اكتساب الآخرى. وهي في كل الأحوال أداة للتعبير عن الفكر، وهي أداة تصدم بغرابتها ما اعتاد عليه العقل الغربي؛ إنها تشبه حيواناً برأسين، ويا لهما من رأسين! وإذا كانت البرامج المدرسية تحار في طريقة التعامل معها لأن تلك البرامج لم تصمم ليسكنها ذلك الحيوان الضخم."

وعلى الرغم من أن الازدواجية اللغوية العربية تشكل واحدة من صعوبات اللغة العربية فإن المشكلات الحقيقية[106] للترجمة ليست لغوية خالصة، بل هي تقنية، إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعجز المجتمع العربي عن إنتاج المعرفة. إن هذا ما نسعى إلى جلائه في الصفحات التالية.

---

1 MARÇAIS, W., "La diglossie arabe, dans l'enseignement puplic" Revue pédagogique, tom C IV, N`12, Alger, 1930 401-409.

مارسيه، و.، "الازدواجية العربية في التعليم العام، المجلة التربوية، المجلد 104، رقم 12 الجزائر، 1930م، ص 401-409.

لقد بدأت البلاد العربية في اليوم الثاني الذي تلا الاستقلال المتتابع الذي كان على وجه العموم في المدة بين 1940–1960م، بدأت تحس أكثر فأكثر بآثار الصدمة التي سببها الفارق الذي يفصلها عن البلاد الأوروبية التي بدأت انطلاقتها منذ عصر النهضة.

وضعية الترجمة في العالم العربي اليوم

لن نكتفي لتلافي الوقوع فيما سماه عالم الاجتماع المغربي **عبد الله العروي** "اكتساب الصفة القروسطية المتمكنة، وهو اكتساب نحققه عبر التماهي السحري الخالص مع العصر الذهبي للثقافة العربية (1974م، ص 192–193)، لن نكتفي، بأن نحيل إلى العصر الذهبي للترجمة في العالم العربي ولكننا نعْرض للوضعية الحالية للترجمة اليوم، وهي وضعية ليست دوماً مُرْضية حتى لو أننا نشهد هنا وهناك بين الفينة والفينة جهداً ملموسا لإخراجها من أزمتها. وإن ما هو جدير بالذكر في هذا السياق هو أن النخبة العربية تتجه أكثر فأكثر إلى مرحلة النقد الذاتي.

وللتمثيل نشير هنا إلى سلسلة التقارير التي قرر المكتب [107] الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD)[1] إعدادها بين 2002 و2005م عن التطور البشري في

1 UNDP Arab Fund for Economic and Social Development. the Arab Human Development Report, Building a Knowledge Society, New York, United Nations publication (2003), La version anglaise (PDF) téléchargeable sur Internet: www.sd.undp.org

الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. التقرير العربي للتنمية البشرية، وبناء مجتمع المعرفة، نيويورك، منشورات الأمم المتحدة (2003م). النسخة الإنجليزية المضغوطة تُحَمَّل من الأنترنت: www.sd.undp.org.

العالم العربي. وكان المقصود من تلك التقارير هو حثُّ أولئك الذين يهتمون بنهضة العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، حثهم على، تفحص وضعيته والتفكير بالبرامج الكفيلة بوضعه على طريق التطور. ونشير على وجه الدقة إلى تقرير عام 2003م الذي ينصب على قضية بناء مجتمع المعرفة. وقد أعد هذا التقرير باحثون عرب مستقلون ومختصون بالتنمية البشرية في العالم العربي، وقد توصل معدو التقرير، كلٌّ حسب كفاءته في الموضوع المعالج، إلى نتائج معبرة، بل صادمة سرعان ما بادرت وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة العربية والدولية إلى نشرها والتعليق عليها. ففي مجال النشر العلمي تنشر الجزائر على سبيل المثال مقالاً علمياً مقابل كل مليون نسمة"، في حين أن سويسرا تنشر ثمانين بحثاً مقابل مليون نسمة". أما فيما يخص الميزانية المخصصة للبحث بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي (PIB)، "تنفق إيرلندا 300% أكثر من الأردن". أما فيما يخص عدد مستخدمي الأنترنت "فإنه 8% في مصر"، في حين أنه 21% في البيرو و42% في سلوفاكيا".

ويظهر التقرير نقاط ضعف ضخمة في مجال العلوم والتكنولوجيا، وهذا يعني أن تمويل البحوث يشهد نقصاً كبيراً، ناهيك عن أنه يوجه توجيها سيئاً، ولا وجود تقريبا للهيئات العلمية العالية المستوى[108] وأساتذة جامعيون مرهقون ويتقاضون رواتب منخفضة؛ مما أدى إلى هروب الأدمغة من العالم العربي نحو البلاد الغربية التي تقدر المعرفة، وتفتح لهم الأبواب على مصاريعها للإبداع والشهرة.

ويرى التقرير أن موانع اكتساب المعرفة في العالم العربي تعود في جانب كبير منها إلى العقبات السياسية أكثر من عودتها إلى البنى الاجتماعية الاقتصادية. هناك أزمة حقيقية في نمط الحكم الذي ليس له

طبيعة تشجع على بناء مجتمع للمعرفة. ويبدو أن الهوة تتعمق أكثر بفعل العولمة التي ما زال العرب عاجزين عن صياغة موقف إيجابي ومتوازن. وإنه سيكون من المهم كل الأهمية مناقشة توصيات تقرير مكتب التنمية الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي المتعلق بالتنمية البشرية في العالم العربي، ولما كنا لا نستطيع فعل ذلك لضيق المكان هنا، فإننا نركز أكثر على المسألة التي تشغلنا، إنها الترجمة.

يُذَكِّر التقرير أن الترجمة "تخلق إمكانات لاكتساب المعارف ونقلها"[1]، إنها "تفتح فضاءات للتفاعل وللتأثير المتبادل". ويضيف: "إن الترجمة بالنسبة إلى المجتمعات العربية هي تحدٍ رائع وضرورة حتمية تتطلب جهوداً موجهة ومنظمة في إطار إستراتيجية عربية طموحة ومتكاملة" (مصدر سابق).ولكن التقرير يشير مع ذلك إلى أن الدول العربية "لم تستوعب دروس الماضي وما زال حقل الترجمة كارثياً".[109] (مصدر سابق). ويقدم التقرير مؤشرات ببليومترية[2] ويقارنها بالمؤشرات الموجودة في الدول الأوروبية. إن السمة الأساسية التي تتسم بها الأرقام التي يوردها التقرير أنها تصدم العقول. نلاحظ في التقرير ، على سبيل المثال، أن عدد الكتب المترجمة في العالم العربي في المدة بين 1970-1975م يبلغ خمس ما تُرجم في اليونان: بينما بلغ عدد الكتب التي أحصيناها اليوم لما ترجم في عصر المأمون 10000 آلاف كتاب وهو ما تترجمه إسبانيا اليوم في عام واحد. وبين عامي 1980 إلى عام 1985م كان وسطي عدد الكتب التي ترجمت في العالم العربي 4,4-أقل من

1 الاقتباسات من التقرير تحيل إلى النسخة الإلكترونية: www.sd.undp.org

2 يمكن تعريفها بأنها تطبيق الرياضيات وطرق الإحصاء على الكتب والمقالات وبقية وسائل الاتصال.

كتاب في العام لكل مليون نسمة-في أن الوسطيَّ بلغ في هنغاريا 519 وفي إسبانيا 920.

إن مما لا شك فيه هو أن تقرير المكتب الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأزمة الترجمة وبغياب مجتمع إنتاج المعرفة. إذنْ، كيف يمكن والحالة هذه تصور حالة الترجمة من العربية وإليها في مثل هذا السياق؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي القول: إننا نعد الترجمة أداة لا يمكن الاستغناء عنها لإنتاج المعرفة. فوحدها المجتمعات التي تنتج المعرفة يمكن أن تدرك دور الترجمة في تشكيل المعرفة. أما المجتمعات التي لا تنتج المعارف الحقيقية، كالمجتمعات العربية، لا تملك حرية الاختيار، وأمامها خيار واحد هو ترجمة المعارف التي ينتجها الآخرون. وهذا لا يطرح في حد ذاته مشكلة شرط أن نعرف ما نترجم، وأن نترجم على وجه الخصوص نصوصاً يمكن إدراجها[110] تقنياً وعلمياً في عالم عربي لا تني الهوة المعرفية تتسع بينه وبين الغرب. ولكن أزمة الترجمة أكثر حدة: فالبلاد العربية لا يقتصر الأمر فيها على أنها لا تنتج المعرفة، ولكنها لا تترجم إلا قليلاً.

إذنْ، إذا كانت أزمة الترجمة إلى العربية لا تُعزى إلى الترجمة نفسها وإنما إلى الحضارة العربية التي توقفت عن الإبداع والاختراع، فكيف نفسر والحالة هذه أزمة الترجمة في الاتجاه المعاكس: من اللغات الآخرى إلى العربية؟ فرغنا للتو من الإشارة أعلاه إلى قلة عدد الكتب المترجمة إلى العربية. إن ما نود جلاءه دون العودة إلى العقبات السياسية أو الاجتماعية الاقتصادية، هو أنه لا يمكن التأمل في الوضعية الحالية

للترجمة بمعزل عن رؤية عامة حول التنمية في البلدان العربية، وهذا ما يتضح من نسق تقرير المكتب الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (PNUD).

ينبغي على تلك الرؤية أن تتركز حتماً على الأسباب الحقيقية التي تفسر التأخر التنموي للعالم العربية دون أن يعني ذلك الوقوع في شرك الفرضية الأبدية التي تنتشر في العالم الثالث، وهي فرضية تتمثل في إلقاء تبعة كل "أوجاع" المجتمع العربي على الهيمنة الاستعمارية أو الإمبريالية. إن تحقق مثل تلك الرؤية ليس ممكناً إن لم يكن هناك تساؤلات عميقة عن العلاقات بين التعليم العالي والبحث، والحوكمة، والديموقراطية، والحريات الفردية. يبقى أنه إذا لم تفضِ تلك التساؤلات[111] حقيقية إلى إصلاحات جريئة وتقدمية لأنه مهما كان قيمة التقارير التي تُعد، ومهما كانت التوصيات جادة فإنها معرضة لأن تبقى طي الأدراج حبراً على ورق.

هذا من جانب. ومن جانب آخر نحن نشهد في العالم العربي منذ الأحداث المأساوية في الحادي عشر من سبتمبر مبادرات واعدة تشجع الترجمة بصفتها أداة تسهل حوار الثقافات وتروج له. ويمكننا في هذا السياق أن نذكر "جائزة خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز العالمية للترجمة"، وهي جائزة أنشئت لتكريم المترجمين، وتشجيع الترجمة من العربية وإليها، ومساعدة دور النشر التي تنشر كتباً مترجمة للعمل متعاضدة لتشجيع الحوار بين الثقافات عبر الدعوة إلى تواصل ثقافي بيني، وإلى التقارب بين الشعوب عن طريق الترجمة. إن الإمكانات المادية والمالية التي خصصت لهذه الجائزة العالمية للترجمة هي مستوى المشروع الذي يهدف إلى الوقوف في وجه الأفكار المسبقة stereotypes ، ومظاهر الخلط التي هي منبع سوء الفهم وعدم التفاهم

التي يمكن أن تغذي التطرف لدى كل الأطراف. إن مما لا شك فيه أنه يمكن للترجمة أن تكون اليوم في العالم العربي مرادفة للتقارب والاتصال البيني والحوار بين[112] الحضارات. إنها تسهل وتجسد مبادئ التعايش السلمي.

خاتمة

إن مثل تلك المبادرة تمضي في اتجاه **اتفاقية حماية تنوع التعبيرات الثقافية وتشجيعها** التي اعتمدتها اليونيسكو في العشرين من أكتوبر"تشرين الأول" 2005م. لقد تم التركيز عبر اعتماد هذه الاتفاقية على أمور كثيرة منها أن تأخذ البلاد التي وقعت على الاتفاقية في الحسبان أهمية "**الحوار بين الحضارات**".. وأن يكون للترجمة في ذلك الحوار دور رئيسي فإن ذلك مبادرة واعدة. ولكنه ينبغي على أي حال، حسب **يوان خو** تلافي"عقبتين كبيرتين". "تتمثل الأولى في جعل الإنجليزية اللغة المرجعية؛ والثانية، هي أكثر خطر أيضاً، هي الاعتقاد بأنه يكفي أن نترجم لكي يسمح هذا الحوار بتلافي الأزمات ذات الطبيعة الثقافية في القرن العشرين"[1].

إن العالم العربي هو اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى أن نهتم على قدم المساواة بالترجمة بحد ذاتها أو بصفتها أداة صالحة للتشجيع على الحوار بين الثقافات. إنه بحاجة إلى المسارين كليهما. ومهما يكن من أمر فإن الترجمة كانت على الدوام واحدة من أدوات نقل أكثر المعارف تميزاً.

---

1 Xu, J., "Diversité Culturelle: lam moisson de la reduction", Hermès 49, Paris, CNRA Editions, 2007, p. 191.

المراجع:

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صاد، 1990، 15 مجلداً.
- LAROUI, A., La crise des intelectuels arabes, Paris, François maspéro, 1974
- العروي، عبد الله، أزمة المثقفين العرب، باريس، فرانسوا ماسبيرو 1974م.
- LAROUSSI, F., plurilinguisme et identité au Maghreb(dir.), Mont Saint Aignan, publications de l'Université de Rouen, 1997.
- لعروسي، ف.، التعددية اللغوية والهوية في المغرب (تحرير)، مون سانت إينيان، مطبوعات جامعة روان، 1997م.
- MANTRAN, R., Les grandes dates de l'Islam, Paris, Larousse, 1990.
- التواريخ العظيمة للإسلام، باريس، لاروس، 1990م.
- WOLTON, D., Demain la phrancophonie, Paris, Flammarion, 2006.
- غد الفرانكوفونية، باريس، فلاماريون، 2006م.

[115] الترجمة والتعدد اللغوي في بوركينا فاسو

لالبيلا أ. يودا
Lalbila A. Yoda

مأخوذ من مجلة هرمس، العدد 56
الترجمة والعولمة ومج 2 و2010م

تقرّ المادة 34 من دستور بوركينا فاسو اللغة الفرنسية "لغة رسمية"[1]. أما اللغات المحلية، وهي تقارب الستين، فإنها "لغات وطنية"، يحدد "القانون طرق تشجيعها ومأسستها". وإن قرار إدراج اللغات الوطنية الثلاث: **الموريه** Mooré **والجولا** jula **والفولفولديه** fulfuldé، وهي لغات يتحدثها 70% من الشعب[2]، في النظام التعليمي

1 "Constitution du Burkina Faso", YOUGBARÉ, p. L., KIEMDÉ, p. (dir.) Codes et lois du Burkina Fasso, tome IX. Code social, Ouagadougou: UFR/Sciences juridiques et politiques (Université de Ouagadougou), 2005, p. 3-24.
-"دستور بوركينا فاسو"، يوغاباري، ب.، ل.، كيميدي، ب.،(تحرير) أنظمة بوركينا فاسو وقوانينها، مج 9، النظام الاجتماعي، واغادوغو: وحدة الإعلام والبحث/القانون والعلوم السياسية (جامعة واغادوغو)، 2005م، ص 3-24.

2 NAPON, A., "La problématique de l'introduction des

يأتي في هذا السياق. ولكن اللغة الفرنسية التي يتراوح عدد من يتحدثونها بين 10- إلى 15 % حسب أكثر الإحصاءات تفاؤلاً[1]، تظل، لأسباب منها سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية فصل القول فيها نابون[2] Napon، لغة التعليم و"لغة الارتقاء الاجتماعي[...] الحاضرة بقوة[116] في كل مجالات حياة الأمة: الاقتصادية والسياسية والثقافية"[3] على عكس اللغات الوطنية التي لا توفر أي ميزة اجتماعية-

---

langues nationals dans l'enseignement primaire au Burkina Fasso", Revue Electronique Sud Langues N 2, Université Cheikh Anta Diop, Dakar, 2003. p. 147.

-نابون، أ.، "إشكالية إدراج اللغات الوطنية في التعليم الابتدائي في بوركينا فاسو"، المجلة الإلكترونية لغات الجنوب، العدد 2، جامعة الشيخ أنتا ديوب، داكار، 2003م، ص 147.

1 NAPON, A., op. cit., 2003; NAPON, A., "Le rêole des langues nationals dans la promotion de la culture burkinabé", LIENS-Nouvelles série N 8, École Normale supérieure de l'Université Cheikh Anta Diop, Dakar, 2005, p. 132-45.

-نابون، أ.، المصدر السابق، 2003؛ نابون، أ.، "دور اللغات الوطنية في تشجيع الثقافة البوركينية"، مجلة روابط LIENS -الإصدار الجديد رقم 8، مدرسة المعلمين العليا في جامعة شيخ أنتا ديوب، داكار، 2005م، ص 123-45.

2 Pour en savoir advantage sur le plurilinguisme au Burkina Fasso voir YODA, L., A., Traduction et message de santé au Burkina Fasso: le cas du français vers le mooré" Hermès 49, CNRS Editions, 2007, p. 89-98.

-لمعرفة المزيد عن التعددية اللغوية في بوركينا فاسو، انظر يودا، ل.، أ.، "الترجمة والرسالة الصحية في بوركينا فاسو: الترجمة من الفرنسية إلى الموريه أنموذجاً" هرمس 49، المركز الوطني للبحث العلمي، 2007م، ص 89-98.

3 NAPON, A., "Résumé de la communication langues nationals et education: pourquoi a-t-on peur des langues nationals au Burkina Fasso", Kuppole, D., D., ed. Co-

اقتصادية لمتحدثيها. لقد دعت الدولة ضمن سياستها اللغوية إلى التصويت على قوانين توجيه التعليم (1996-2007)[1] يبدو أنها تضع اللغات المختلفة في **بوركينا فاسو** على قدم المساواة. ولو طبقت هذه القوانين لشكل ذلك ثورة في إطار أن القانون في مادتيه الرابعة والعاشرة يؤكد بوضوح أن "لغات التعليم هي الفرنسية واللغات الوطنية سواء في العملية التعليمية أو في التقويم". وما يؤسف له أنه ليس هناك سياسة حقيقية لتشجيع اللغات الوطنية[2] ولا سياسة للترجمة. وليس في التظيمات المذكورة أعلاه أي إشارة إلى الترجمة. كيف يمكن والحالة هذه تشجيع التنوع في سياق متعدد اللغات كالسياق الذي نجده في بوركينا فاسو بدون سياسة لغوية وسياسة ترجمية؟ إننا نقتفي أثر سوان Swaan (2001، ص 45) الذي يزعم أن الترجمة وسيلة لمواجهة عدم تساوي

---

existence of languages in West Africa. Teaching and Learning of Language, Culture and Literature of West Africa, Cpe Coast: The Université of Cape Coast, 2008, p. 13.

-نابون، أ.، "ملخص لورقة بعنوان: اللغات القومية والتعليم: لماذا الخوف من اللغات القومية في بوركينا فاسو" دار نشر كوبول د. د. في أعمال مؤتمر بعنوان: تعايش اللغات في غرب إفريقيا، تعليم اللغة والثقافة والأدب في غرب إفريقيا وقراءتها في غرب إفريقيا، كاب كواستا: جامعة كاب كواستا، 2008، ص 13.

1 Assemblée nationale, "Loi d'orientation de l'éducation", texte promulgé par le décret n 2007-540/PRE. Du 05 septembre 2007.

2 La réalité en matière de politique linguistique Napon (2001, op. cit. p. 210) constate que "la promotion des langues locales est symbolique. En effet, depuis les indépendances, rien n'a été fait en vue de l'adoption du statut des langue nationals> Quand bien meme on note une disposition de principe à utiliser les langues nationals à travers l'adopition de texts administratifs".

اللغات المختلفة في العالم، وللمصالحة بين اللغات المحلية ذات التواصل المحدود وبين اللغات التي تتمتع بنسبة تواصل كبيرة.

ولكن لكي تصبح الترجمة وسيلة حماية وتشجيع لغوي وثقافي[117] فإنه لا بد من وجود سياسة ترجمية. وآية ذلك أن السياسة الترجمية التي تحدد مكانة المترجم ودوره، ومكانة النشاط الترجمي ودوره ومكانة الترجمة ودورها (وهي ما ينتج عن ذلك النشاط)، مكانة كل ذلك ودوره في المجتمع هو أمر لا غنى عنه كما برهن على ذلك **هولمز**[1] Holmes.

إن الترجمة على الرغم مما سبق، وحتى لو لم تكن هناك سياسة رسمية للترجمة، كما هي الحال في بعض البلدان مثل كند وسويسرا، تشكل حقيقة ونشاطاً لا محيص عنه بسبب السياق المتعدد اللغات في بوركينا فاسو. إنها ضرورية لكل أشكال التواصل (الإداري والسياسي والثقافي إلخ.) بسبب أن اللغة الرسمية لا تتحدثها إلا أقلية. فالحكومات وكل أعضاء الطبقة السياسية الحاكمة يستطيعون التواصل مع الشعب عبر الترجمة. إن إعلانات الأحزاب السياسية في الحملات الانتخابية تترجم إلى غالبية اللغات الوطنية للوصول إلى أكبر عدد من الناخبين. وعندما يخاطب رئيس الجمهورية الأمة فإنه يستخدم اللغة الرسمية، الفرنسية، ولكن خطابه يُترجم ويُفسر على وجه العموم مباشرة إلى اللغات الوطنية الرئيسية.

ولكن، هل تسهم الترجمة التي تنتج عن مثل هذا السياق المتعدد اللغات في تشجيع التنوع اللغوي والثقافي؟ أو بصيغة أخرى أيضاً يمكن

---

1 HOLMES, J. S. "The Name and Nature of Translation Studies", dans VENUTI, L., The Translation Studies Reader, Londres/New Yorj, Routledge, 2000, p. 182.

أن نتساءل، أي لغة أو لغات، ثقافة أو ثقافات تستفيد من الترجمة عندما لا تكون الترجمة حيادية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات سنعالج بادئ ذي بدء باختصار مسألة الترجمة في بوركينا فاسو. ونحن نستخدم مصطلح الترجمة بالمعنى الواسع الذي يستخدمه فيه نيومارك[1] NewmarkK متضمنا معنى الترجمة الشفهية **والكتابية**.

الترجمة الأدبية والمسموعة-المرئية في بوركينا فاسو

إن ضيق المكان المتاح لنا لمعالجة مسألة التعددية اللغوية والترجمة في بوركينا فاسو يدفعنا إلى الاكتفاء بالإنتاج الأدبي، وبمعالجة الأنباء عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في السياق المتعدد اللغات في بوركينا فاسو.

إن الأدب المكتوب في بوركينا فاسو، شأنه شأن آداب المستعمرات الفرنسية القديمة في إفريقيا، لا يعكس تنوعها اللغوي لأنه يقتصر جوهرياً على استخدام اللغة الفرنسية التي تمتلك وضعية مميزة. إن أهمية الفرنسية تتناسب عكساً مع نسبة عدد متحدثيها. ويكفي النظر في أي دورة من دورات الجائزة الوطنية الكبرى للفنون والآداب (GPNAL) منذ إنشائها عام 1983م في إطار الأسبوع الوطني للثقافة للثقافة الذي يجري الاحتفال به في [119] بوبو[2] Bobo كل سنتين. لقد شهدت دورة عام 2008م على سبيل المثال مشاركة أجناس أدبية

---

1 Pour Newmark (1993, p. 35) la traduction dans son sens large "comprises any method of transfer, oral an written, from writing to s[eech, from speech to writing, of a message from one language to another".

2 المدين الثاني في بوركينا فاسو.

مختلفة: 8 أعمال لكتب الرسوم المصورة، 12 من كتب حكايات الأطفال، 33 مجموعة قصصية، 31 ديوان شعر للأطفال، 31 رواية و23 قطعة مسرحية. وقد استخدمت الأعمال المشاركة كلها الفرنسية. ويصدمنا غياب اللغات الوطنية والترجمة في الإنتاج الأدبي البوركيني. والحال أن الترجمة كما يبرهن على ذلك **وودشورث**[1] WOODSWORTH تشكل وسيلة ليس لإغناء لغة اللغة المستقبلة وثقافتها فقط ، ولكنها تمكّن للهوية الثقافية أيضاً.

أما الترجمة المسموعة المرئية، في السينما البوركينية على وجه الخصوص، فيبدو أنها أكثر تمثيلاً للتعددية اللغوية والتعددية الثقافية للبلد. وآية ذلك أن أغلبية السينمائيين ينتجون أفلامهم باللغات الوطنية. وتؤدي الترجمة في الفن السينمائي أيضاً دور الوسيط أو الجسر الذي يصل بين ثقافتين. وحتى لو كان للشريط المترجم متطلباته النوعية ومستلزماته كما يبين ذلك **سانون** Sanon فإن السينما تشكل وسيلة تعبير أصيلة للثقافة الإفريقية بسبب طبيعتها الشفهية. يرى سانون "أن الفيلم هو من القنوات النادرة المتميزة للترجمة الأدبية في اللغات الوطنية والأوروبية"[2].

إنه لمن المغري، ناهيك عن استخدام الترجمة في المجال السينمائي، أن نعد[120] الإنتاج الأدبي البوركيني بصفته نصوصاً

---

1 WOODSWORTH, J., "Language, Translation and the Promotion of National Identity, 8:2, 1996, p. 212.

2 SANON/OUATTARA, A., E., "Le sous-titrage et les choix linguistique dans le cinema burkinabé", Napon (dir), Actes du Septième Colloque inter-universitaire sur la co-existence des langues en Afrique de l'Ouest(22-23 octobre 2008), Ouagadougou, Presses Universitaires de Ouagadougou, 2009, 474.

واصفة[1]، لأن غالبية الإنتاج الأدبي المكتوب باللغة الفرنسية يضرب صفحاً عن التعددية اللغوية. واقع الأمر "أن الإشكالية اللغوية غائبة بغرابة عن الأدب الروائي المكتوب بالفرنسية، في حين أنه يمكنه أن يتبوأ مكانة مركزية"[2]. ويمكن أن نفسر هذا الإهمال تفسيرات متعددة. يمكن أن ننسب غياب الإشكالية اللغوية إلى حجة سياسية. يعلن الأدب البوركيني عندما يُغيِّب التعددية اللغوية إرادته في المساهمة في الوحدة الوطنية، متيحاً لشخصياته فرصة التحدث نسقياً باللغة الرسمية.

ولكي نكون عمليين نضرب مثلاً واحداً، إنه رواية **روامبا** Le Carnaval de la mort Rouamba (1995م) **كرنفال الموت** التي حصلت على جائزة الأدب الأولى إبان الأسبوع الوطني للثقافة بوبو 1994م. والإطار الذي تجري فيه أحداث الرواية هو قرية صغيرة سكانها من **الموسِّي**[3] mossi اسمها **غولدو** Gouldou. كل الشخصيات، لم تذهب إلى المدرسة، شأنها شأن الشخصية الرئيسية يامبا yamba، ويعيشون جميعاً من أعمال الزراعة. ويصدمنا في هذا السياق من الثقافة الشفهية أن كل الشخصيات تتحدث بالفرنسية بدلا من **الموريه**. وإنه لمن الصحيح أننا في مجال التخييل، ولكنّ أليس

---

1 ينبغي أن نفهم من مصطلح النص الواصف métatexte أن نصاً ما مرتبط بنص آخر ينحدر منه، ويتم ذلك والحالة هذه بطريقة ضمنية. والترجمة من وجهة النظر هذه هي نص واصف ضمني. ويقابله مصطلح: النص الأصلي Prototexte.

2 CAITTUCOLILI, C., "Le Burkina Fasso société multilingue et sa representation dans le roman burkinabé francophone", Annales, Série Sciences Humaines et Sociales, Numéro special, Université de Ouagadougou, 1988, 191.

3 اسم مجموعة إثنية تتحدث اللغة المورية.

التخييل مرآة تعكس الواقع؟ حتى الأغاني والأمثال والحكايات وعناصر آخرى من التقاليد الشفهية للموسي؛ تلك التقاليد التي تتجاور[121] في العمل الأدبي هي بالفرنسية. ويمكننا أن نعد أن خطاب الشخصيات خضع لترجمة أنجزها المؤلف.

وإذا أخذنا في الحسبان أن الأدب البوركيني المكتوب يتخذ الأدب الشفهي البوركيني نموذجاً، وبسبب تصور معين للترجمة بصفتها إبداعاً نموذجياً للنص الأصيل[1] فإنه يمكننا أن ننظر إلى الكاتب البوركيني على أنه "مترجم" شرط أن نتجاوز المفهوم التقليدي للترجمة القائل إنها نقل لغوي خالص، لكي نركز أكثر على الجانب الثقافي، وبشرط ألا نقصر معنى النص على النص الأدبي، ولكن أن نتسع فيه ليشمل النص في أكثر مفاهيمه اتساعاً: "ويمكن أن نعد الأنشطة الاجتماعية والثقافية، فضلا عن الأحداث وأشكال التعبير نصاً"[2]

"social and cultural activities as well as events and forms of expression can be regarded as text"

إن أسلوب الكاتب الإفريقي في كثير من الحالات يشكل من جهة آخرى كما يقول **امبوكو** M'Boukow "ترجمة متقنة كل الإتقان

---

1 Idée développée par Hermans, HERMANS, T., "On Model-ling Translation: Models, Norms and Field of Translaition", Livius, 4, 1993, pp. 69-88.

2 WOLF, M., "Traslation as a process of power: Aspects of Cultural Anthropology in Translation", dans Mary SNELL-HORNBY et al. (dir.), Translation as international Communication: Selected Papers from EST Congress, Prague 1995, Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins, 1997, p. 128.

للغته الأم"[1]. إن أسلوب مؤلف رواية كرنفال الموت يصوغ تقنيات تنتسب إلى الإستراتيجيات التي يستخدمها المترجمون لحل مشكلات المعادل. ومن تلك الإستراتيجيات على سبيل المثال: الترجمة الحرفية، المحاكاة، العارة (مصطلح من لغة **موريه** نحو الفرنسية)، والتكييف. يظهر من خلال هذه الرواية أن مفهوم الترجمة مفهوم شديد التعقيد، وأن هناك ضرورة لإعادة النظر في مفهوم النص.

إنها تمثل خير التمثيل الفرضية القائلة إن النصوص الأدبية البوركينية والإفريقية تشكل نصوصاً واصفة métatextes [122] حتى وإن لم تحلنا إلى نصوص أصلية[2] prototextes. كما أن النصوص الإفريقية تشكل تحديا لمفهوميْ "المؤلف/النص الأصلي" من جهة، ولمفهوميْ "ترجمة/ترجمة نسخية" كما تطرحها نظرية الأدب ونظرية الترجمة في الغرب من جهة آخرى.

أما استخدام اللغة الفرنسية في الأدب البوركيني فإنها تؤكد أيضاً الفكرة القائلة إن اللغة الرسمية تؤدي دور لغة وطنية[3]. يمكننا القول في

---

1 Cité par NITAÏ, M. N., "African Literature in European Languages: Major Features and Implications for. 15-21Translation", Catriona, p. (ed) XIII Word Congress of F.I.T. Proceedings-The Vital Link, Vol. 1 N 2, Institute of Translation and Interpreting, 1993, pp. 564-72.

2 نعني بمصطلح النص الأصلي prototexte النص الأول، بمعنى أنه يمكن أن يستخدم أرضية لانطلاق نصوص آخرى تنبثق منه وخصوصاً ترجماته. يقابله مصطلح النص الواصف métatexte.

3 Slon Tine (1998, p. 16-17) "Le statut de la lingue national est réllement joué par la lingue officielle qui jouit de la même légimité que l'hymne ou le drapeau national". TINE, A., "Note sur la problématique des literatures nationals", Annales de l'Université de Ouagadougou, n special, série Á: Sciences humaines et socials, 1998, p

مثل هذه الظروف إنه، عملياً، لا وجود للتعددية اللغوية في الأدب البوركيني المكتوب، وإن نمط "الترجمة" الذي نلاحظه لا يسهم إسهاماً حقيقياً في تشجيع التنوع الثقافي، ولكنه يسهم أكثر في تدعيم سيطرة اللغة الرسمية، الفرنسية، التي لا تنقل القيم الثقافية نفسها التي تنقلها اللغات الوطنية.

أما في مجال الإعلام والتواصل فإن حق أن يعلم المرء بما يدور حوله بلغته الأصلية حق غير متوافر في سياق العولمة التي يشكل فيها الإعلام عنصراً مهماً في النمو الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. إن هيمنة اللغة الرسمية، الفرنسية، نجدها في مستوى الإعلام، على حد سواء في المسموع والمرئي ووسائل الإعلام المكتوبة. ويرى **باليما وفرير** Balima et frère (2003، ص 176): "إن الوضع العام اليوم يؤكد بجلاء هيمنة[123] الفرنسية التي تظل لغة الإعلام والثقافة، وبالتالي لغة السلطة". ويعد المذياع، كما يؤكد ذلك **باليما وفرير** هو الاستثناء، لأنه يخصص مكاناً مهماً للغات الوطنية. ويظل المذياع لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية (نسبة الأمية المرتفعة، إمكانية اقتناء جهاز مذياع...) أكثر وسائل الإعلام شعبية في بوركينا فاسو. ولكننا عندما ننظر إلى جدول برامج المذياع الوطني الذي يغطي وحده كامل الأراضي الوطنية فإننا نلاحظ أنه حتى وإن كان المذياع يخصص مساحة مهمة للغات الوطنية فإن تلك المساحة تظل نسبية لأن البرامج باللغة الفرنسية تتجاوز بمسافة كبيرة البرامج باللغات الوطنية. وإن الأوقات المخصصة على وجه العموم للغات الوطنية وللثقافات الوطنية هي ليست أوقات الذروة في الاستماع[1]، لأن

1 نابون، مصدر سابق، 2005م، ص 144..

غالبية البرامج يجري بثها في ساعات عمل الموظفين والعاملين الآخرين.

أما في مسألة تعليق وسائل الإعلام على الأخبار على وجه الخصوص يلجأ الإعلام المسموع والمرئي إلى الترجمة بسبب نمط التحديث على الطريقة الغربية، وهو نمط يؤدي فيه الإعلام دوراً رئيسياً. ومن هنا جاء استخدام اللغات الوطنية سعياً إلى تغيير سلوكيات المواطنين للوصول إلى التنمية[1]. ولكن الترجمة المسموعة والمرئية كما سنرى فيما يأتي[124] ترسي أكثر دعائم سيطرة اللغات الأوروبية على حساب اللغات الوطنية.

تصنيف Typologie الترجمة في بوركينا فاسو

إن الفرنسية، لغة القوة الاستعمارية القديمة، التي تتحدث بها أقلية من المواطنين هي لغة السلطة في بوركينا فاسو لأسباب تاريخية وسياسية لن نعود إليها هنا. وإنه ليكاد يكون مستحيلاً على من لا يتقنها أن يحصل على عمل في الإدارة أو في بقية القطاعات الحديثة للاقتصاد. إن التحدث بالفرنسية يُكسب ضرباً من الفخر والميزات التي لا توفرها اللغات الوطنية.

إن توجه الترجمة **البين لغوية** تعكس منزلة اللغات. هناك تصنيفان للترجمة: **الترجمة الأفقية، والترجمة العمودية**. تشير الأولى إلى حالة الترجمة بين لغتين لهما وضعية متساوية أو متقاربة. وينطبق هذا في

---

1 BALIMA, S. T., "Médias et langues nationals au Burkina Fasso", Conférence publique, Ouagadougou le 10/8/2005.
باليماس، س. ت.، أستاذ أصيل، ومدير المركز الإفريقي للخبرة والبحث حول وسائل الإعلام والاتصال (CERAM) وهو مؤلف عدد من المنشورات حول وسائل الإعلام والاتصال.

سياق بوركينا فاسو على اللغات الأوربية التي يمكن أن نضيف إليها اللغة العربية. ولكن الترجمة من الفرنسية إلى الإنجليزية ومن الإنجليزية إلى الفرنسية هي، مع ذلك، أكثر أهمية[1]. إن الترجمة بين هذه اللغات، الترجمة التي تتطلبها الإدارة والمنظمات غير الحكومية (ONG)، والشركات، والقطاعات الاقتصادية الحديثة على وجه العموم[125] تكاد تقتصر على النصوص التي نسميها النصوص العملية. وتضم وزارة الشؤون الخارجية والتعاون المناطقي في رحابها دائرة للترجمة الفورية والترجمة (DIT) لتلبية حاجات الترجمة في الإدارات العامة. أما الترجمة بين اللغات القومية فإنها لا وجود لها ألبتة.

أما النوع الثاني، الترجمة العمودية، فإنها تخص الترجمة من لغة تمتلك وضعية أقل إلى لغة لها وضعية أعلى والعكس. وهي على سبيل المثال وضعية اللغات البوركينية كلها ووضعية اللغات الأوروبية كلها. إن الترجمة العمودية تختص على وجه العموم بالترجمة التوراتية، والترجمة المسموعة المرئية (السينما والمذياع على وجه الخصوص)، وترجمة نصوص نشر المعلومة في مجال الصحة والزراعة ومحو الأمية من الفرنسية إلى اللغات الوطنية. ويوجد أيضاً بعض النصوص الأدبية بلغات مزدوجة (فرنسية ولغات وطنية) بهدف تعليمي.

ينبغي مع ذلك أن نشير إلى أن اتجاه الترجمة المرتبط بمنزلة اللغات، التي سبقت الإشارة إليها، وتفوق الفرنسية على اللغات الوطنية تشكل في مستوى الترجمة المسموعة المرئية التي تشكل فيها الترجمة من اللغات الوطنية إلى اللغات الأوروبية واحدة من سمات

1 OUEDRAOGO, M., (non publié) "la Traduction et l'interprétation au Burkina Fasso de 1920 à nos jours", mémoire de maîtrise, ASTI, Université de Buea, 1997, p. 68

السينما البوركينية. وترجمة الأفلام لا تتم لا بين اللغات الوطنية ولا بين اللغات الأوروبية وهذه الأخيرة، ولكنها تتم في اتجاه[126] واحد: من اللغات الوطنية إلى اللغات الأوروبية. ويؤكد سانون: "أنه لم يترجم إلى اللغات الوطنية أي فيلم بوركيني ناطق باللغة الفرنسية، في حين أن كل الأفلام التي تقدم على أنها ناطقة باللغات الوطنية هي عملياً إما مترجمة على الشاشة أو أنها خضعت لعملية دوبلاج بالفرنسية أو باللغات الأوروبية الآخرى"[1].

ونشهد على مستوى المذياع ظاهرة عكسية تختلف عما يحدث في السينما؛ ففي المذياع نترجم من الفرنسية إلى اللغات الوطنية، ولكنها ترجمة تفتح المجال لظهور "حالات من الارتجال التي تؤدي إلى تشويه المعلومة وتضخيمها"[2] يقوم بها مذيعو المذياع. وينتج عن ذلك أن من يتحدثون الفرنسية، وجمهور نص الوصول لا يتلقون نمط المعلومة نفسه مع مثل هذه الترجمة الحرة. إن هذا النوع من الترجمة الذي يُعْرض عن ترجمة وجهات النظر التي تعبر عنها اللغات الوطنية إلى اللغة الرسمية، الفرنسية، لا تنقصه الاحترافية والأخلاق فحسب، ولكنها أيضاً تحتقر المتحدثين باللغات الوطنية وتحتقر قيمهم[3]. إن الترجمة المسموعة المرئية، شأنها شأن الترجمة الأدبية التي تحدثنا عنها فيما سبق، لا تسهم لا في تشجيع اللغات الوطنية ولا في المحافظة على التنوع الثقافي.

إن ما نتج عن تفوق الفرنسية واللغات الأوروبية هو أن الترجمة[127] في هذه اللغات جذابة ولها قيمة أكبر مما نجده في اللغات الوطنية. وإن تجربة قسم الترجمة والتفسير لوحدة الإعلام والبحث في

1 سانون/واتارا، أ.، مصدر سابق، 2009، ص 489.
2 باليماس، س. ت.، مصدر سابق 2005م، ص 7.
3 المصدر السابق.

الآداب، الفنون والاتصالات (UFR/LAC) في جامعة **واغادوغو** Ouagadougou دالة كل الدلالة في هذا المجال. أنشئ هذا القسم في عام 1997م ليتخرج منه بعد سنتين من الحصول على الإجازة مترجمون ممن يتقنون لغتين أو ثلاثة لغات، من الفرنسية إلى اللغات الأجنبية الأخرى من جانب، ومن الفرنسية إلى اللغات الوطنية من جانب آخر. لقد ألغيت الخيارات المرتبطة بهذا المسار الأخير بعد السنة الأولى بسبب عدم وجود المرشحين. وسبب ذلك أن حملة الليسانس أو الإجازة "لا يهتمون باللغات الوطنية"[1].

إن نقص الحيوية في الترجمة بين اللغات الوطنية في بوركينا فاسو ينتج عن غياب الإنتاج في مختلف لغات البلد، وعن غياب دور اللغات الوطنية الذي تؤديه اللغة الرسمية، الفرنسية. إن الوضعية المتميزة التي تتمتع بها الترجمة الأفقية نابع من هذه الوضعية. ولكن ما ينبغي تسجيله مع ذلك هو أن تصنيف الترجمة في بوركينا فاسو يندرج ضمن إطار كلي للهيمنة الاقتصادية والثقافية والسياسية للشمال على الجنوب، هيمنة عمقتها العولمة كما يرى **ريشار جاكيمون**[2] Richard Jacquemond. إن مثل هذه الحالة تشكل مفارقة غريبة إذا قورنت بالإرادة المعلنة للسلطات الدولية، والإقليمية والوطنية في حماية

---

1 GUIRÉ, D., KINDA, T., (NON PUBLIé) "Rapport de synthèse de l'étude de marché sur les besons de l'emploi en jornaliste/ communicateurs/ interprètes, Ouagadougou, en jornaliste/ communicateurs/ interprètes, 1995, p.63. Ouagadougou, 1995, p.63.

2 JACQUEMOND, R., "Translation and Cultural Hegemony: The Case of French-Arabic Translaion", Venuti, L. (ed.), Rethinking Transltion: Discourse, Subjectivty, Ideology, London and New York: Routledge, 1992, p. 139.

[128]التنوع الثقافي وتشجيعه، ولا يمكن لذلك أن يحدث دون أن يكون "للترجمة دور جوهري تلعبه في ذلك "[1].

خاتمة

يجري تصور الترجمة على الدوام ليس بصفتها وسيلة إعلام وتواصل في سياق متعدد اللغات فحسب، بل بصفتها وسيلة إغناء للتنوع الثقافي وحفاظ عليه أيضاً. ولكن مثال بوركينا فاسو يظهر لنا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تؤثر في مكانة اللغات والثقافات الموجودة في المجتمع وفي دورها. وأن للترجمة الأفقية المتعلقة باللغات الأوروبية، والفرنسية والإنجليزية على وجه الخصوص، مكانةً متميزة. أما الترجمة العمودية، ما عدا الترجمة المسموعة المرئية، فإنها تقتصر على بعض المجالات مثل الصحة والدين ومحو الأمية.

إن التراتبية في اللغات التي تخص الفرنسية بدور ريادي لا يسمح للترجمة بأن تسهم في دعم اللغات الوطنية، ولا في أن تحافظ على التنوع الثقافي كما تقضي بذلك غالبية الهيئات القانونية الدولية: مثل **الإعلان العالمي للتنوع** [129] **الثقافي** الذي تبنته **اليونيسكو** في نوفمبر"تشرين الثاني" 2001م[2]، والاتفاقية حول حماية التنوع الثقافي وتشجيعه التي تبتها اليونيسكو أيضاً في أكتوبر "تشرين الثاني" 2005م[3]. وإعلان المبادئ حول حرية التعبير في إفريقيا التي اعتمدت في

1 XU, J., "Diversité culturelle: la mission de la traduction" Hermès 49, Paris, CNRS Editions, 2007, p. 191.

2 Déclaration Universelle sur la diversité culturelle, en ligne sur <http://unesdoc.unesco.org/images/0012/001271/127161f.pdf>

3 Convention sur la protection et la promotion de la diversité culturelle, en ligne sur http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001429/142919f.pdf

2002م[1]. سيكون من الصعب الحفاظ على هذا التنوع إذا لم نخص الترجمة بمكانة جوهرية. إن حركة ترجمة فاعلة في السياق المتعدد اللغات في بوركينا فاسو لا تشكل وسيلة تواصل لتجاوز العقبة اللغوية فحسب، ولكنها تشكل أيضاً شعاعاً موجهاً للإعلام سعياً إلى نمو اجتماعي وثقافي واقتصادي. لأجل ذلك كان وجود سياسة للترجمة أمراً لا غنى عنه.

1 Déclarations des principes sur la liberté d'expression en Afrique, Banjul, Gambie, 23 0ctobre 2002. En ligne sur <www.achpr.org/.../documentation.html?.../declarations/declarations...>

- BALIMAS, S. T., FRÉRE, m.-S., Médias et communication au Burkina Fasso. Approches socio-économiques de l'information, Paris, L'Harmattan, 2003.
- NEWMARK, P., About Translation, Clevedon, Multilingual Matters, 1993.
- ROUAMBA, F. P., Le Carnaval de la mort, Ouagadougou, Direction du livre et de la promotiom littéraire, 1995.
- SWAAN, A. (De), Words of the World: the Global Language Systeme, Cambridge, Polity, 2001.

[135] الترجمة، جواز عبور للوصول إلى الآخر

دومينيك ولتون
Dominique Wolton

مأخوذ من العدد 56 من مجلة هرمس
ترجمة وعولمة، المجلد 2، 2010م.

الترجمة هي الوجه الآخر للعولمة، إنها الأقل رؤية على السطح، والأقل مهرجانية بالتأكيد، ولكنها لا تقل في أهميتها الجوهرية عن العولمة لأنه لا وجود لانفتاح ممكن على الآخر دون احترام الهوية الثقافية التي تتسنم اللغات المقام الأول فيها، وقولنا: اللغات يعني بالتالي الترجمة. لن تكون هناك عولمة سلمية بدون صناعات ترجمية معترف بها، ومتجاورة، ومتقنة. ونحن بعيدون كل البعد عن ذلك. إننا تقريبا في الاتجاه المعاكس. آه لو أنه كان بالإمكان تهميش الترجمة، مخصصة فقط لجمهور الباحثين، ولصالح وسيلة التواصل السريعة كل السرعة، والعملية، والمؤثرة للإنجليزية.

ليس الإنجليزية هي المتهمة، لا بد من "لغة" واحدة في الحد الأدنى، حتى لو أن الوحدانية اللغوية مفقرة، ولكن نسيان[136]، نسيان النخبة في المقام الأول، الذي يطال اللغات التي هي أول

شروط احترام التنوع الثقافي. احترام يثير قليلاً من الاهتمام في حين أننا أصبحنا أخيراً نهتم في جانب آخر بالتحدي الذي يشكله التنوع البيئي. وذلك على الرغم من توقيع اتفاقية' احترام التنوع الثقافي في اليونيسكو في أكتوبر"تشرين الأول" 2005م. لماذا الاعتراف بالتنوع البيئي، وليس بالتنوع الثقافي بعيداً عن اللجوء إلى الدمدمة بلغة مراوغة؟ ناهيك عن أن التنوع الثقافي لا يقل ارتباطا بالسياسة عن الإيكولوجيا écologie. وربما تكون أكثر منها ارتباطاً بها لأن الأزمات الثقافية-اللغات، الذواكر، التمثيلات، والأراضي، ومفهوم الحرية...-تعبر عن نفسها غالباً تعبيراً موغلاً في العنف. إذن، إن الترجمة هي أول شروط احترام الآخر. وإذا كانت الترجمة على الدوام مسألة سياسية فهل نقول إنها رمز؟ لقد كتبت في كتابي **الطوباوية الأخيرة. ولادة أوروبا الديموقراطية** La Dernière Utopie. Naissance de lEurpe démocratique (1993): في اليوم الذي نجد فيه في كل مكان في أوروبا مكاتب للترجمة (26 لغة لـ 37 بلداً حالياً)، حينئذ نعلم في آن معاً أننا حققنا الهدف الديمقراطي لذلك المشروع والدور المركزي للترجمة. تُعدد الترجمات في كل اللغات، بدون تمييز، في إطار احتفال شعبي للكلمات واللهجات. حينئذٍ يلقى المترجمون التقدير الذي يستحقونه. ما يؤسف له أننا ما زلنا بعيدين عن إدراك ذلك. لا يتطلب ألبتة المترجمون والترجمة إمكانيات يمكن أن نعدها نسقياً [137] باهظة. مع ذلك، تتوافر على الدوام الأموال لدعم الجيل الألف من "التقنيات الجديدة"، التي نشتريها بعيون مغمضة، ومنها أجهزة "الترجمة الإلكترونية": نفضل الإنجازات التقنية على الذكاء البشري.

لهذا خصصت مجلة هرمس، مخلصة لمشروعها البحثي، عددا ثانيا خلال ثلاث سنوات لمسألة الترجمة التي تعد مسألة جوهرية تُسْدل عليها ستائر التجاهل: ترجمة هي رمز الإبداعية في اللغات، والغنى في الثقافات في رحاب عمل صبور وصامت يقوم على التقريب بين الكلمات التي ترتبط بصلة قرابة وبين الكلمات الأجنبية.

الترجمة والتواصل

ربما تكون الترجمة واحدة من أروع مظاهر الاعتراف بالذكاء والغيرية، آخذين في الحسبان الترادف، وبراعات التاريخ، واستحالة أن نحبس الكلمات في معنى واحد. إنها في قلب عملية السعي المستمر إلى التواصل بين البشر، وهي وسائل تتجدد على الدوام لمحاولة التغلب على اللاتواصل. إنها أكثر أنواع الترياق نجاعة لإزالة الوهم للعقلانية في التبادلات والتفاهم، إنها النداء الذي تسمعه في نهاية الطرقات والمطارات، والتعليمات التي تقرؤها على الأدوات، عن سرعتها وعن [138] ميزاتها، فيها التأني بلا نهاية وفن العلاقات الإنسانية والاجتماعية. إنها باختصار الدليل المناقض الذي نواجه به السبق التقني والعقلانية الإيديولوجية التقنية التي تقصر التواصل على تفاعل تزداد سرعته في إعطاء المعلومة أكثر فأكثر. إنها منح القيمة من جديد للأفراد في وجه إغراء الأنظمة التقنية.

يكتسب العددان اللذان أصدرتهما مجلة **هرمس أهمية** في مجال ذي أهمية مركزية للسلام في المستقبل. ويمكن أن تتلوهما أعداد آخرى عن الموضوع، كالعددين اللذين ظهرا في عام 1995م عن "الحجاج والبلاغة"، وهما موضوعان آخران مهمان لنستطيع فهم الكيفية التي

يتبعها البشر للتواصل للحد من تلك الهوة المخيفة التي أوجدها اللاتواصل. إن الترجمة هي أكثر الأدلة وضوحاً على استحالة الفهم المتبادل بسهولة ومباشرة. وهي في الوقت نفسه درس في التواضع، وعزاء كبير للمترجمين، وتقدير لتنوع الثقافات ولرؤى العالم التي بناها البشر.

إن الترجمة تواصل، ومحاولة للتقارب، والاحترام المتبادل، وليست وسيلة للتفاهم والتهجين والتفاوض والتعايش. ليس هناك ألبتة عملياً، أمام حالة الانكشاف المريعة التي نعيشها، مساواة بين اللغات والترجمات، كما أنه ليس هناك مساواة بين البشر والثقافات. وإن الترجمة والمترجم هما أيضاً مثالان للتبادل غير المتكافئ.

[139]إن الترجمة باختصار هي في قلب المشروع الثقافي لمجلة هرمس التي لا تني تثمن البشر وتنوع الثقافات، ومحدودية الأنظمة التقنية، والبحث الدؤوب عن الآخر فيما وراء اللاتواصل الذي لا يمكن تلافيه.

ينبغي على الترجمة أن تكون في المعنى الذي نشير إليه الصناعة الأولى في العولمة، إنها الصناعة التي تمثل في جهودها ومصاعبها ومعجزاتها مدى تعقد العلاقات بين المجتمعات والثقافات. وكلما كان تبادل الكلمات، والصور والأصوات، والمعطيات سريعاً ومتعدداً، ويغرينا أطلت برأسها ،بجلاء أكثر، مسألة الترجمة، وبالتالي مسألة لدونة المعنى، كما لو أن كفاءة الأدوات تجعل ضرورة استخدام الذكاء الإنساني والتأويل أكثر وضوحاً للحد من حالات عدم التفاهم التي لا تحصى، التي زادها عمقاً حجم التبادلات. إن التبادل بسهولة ليس مرادفاً لفهم مطور.

الترجمة والتنوع الثقافي

ترمز الترجمة إلى ثلاثة أحجام رئيسة للعولمة. حقيقة التنوع الثقافي واللغوي. واقعة اللاتواصل. إنها تلح على ضرورة العمل البشري، وما يكلفه، لخفض وتيرة ذلك اللاتواصل، وخطر الأزمات التي تنتج عنه غالباً.[140] إن أي ترجمة تحيل إلى إشكاليتين جوهريتين للاتصال. مشكلة المستَقْبِل؛ ويكفي هنا، أقل من أي مكان آخر، أن نترجم ليحصل التفاهم. إن الباث والرسالة والمستقبل ليسوا على اتصال مباشر. ومن جهة آخر هناك إشكالية (الهرمونوطيقا)، وهي علم التأويل الذي كان على الدوام يفسر أهمية "إعادة القراءة" و"ترجمة النصوص". وهما بُعْدان تثمنهما أي إشكالية من إشكاليات الترجمة. ناهيك عن أن الترجمة ترمز إلى العودة إلى النص الذي هو اليوم في وضعية صعبة بسبب سيطرة الصورة والعلامات. إنها تثمن التأني، الذي هو أيضاً في وضعية صعبة بسبب التطورات التي حدثت في أنظمة الإعلام. إننا نقول نعم لأي عولمة في الصور والعلامات، ولكل المنجزات والإبداعات التكنولوجية شرط ألا تنسى ألبتة أهمية النصوص والتعقيدات التي تطرحها مسألة الترجمة.

إننا نرى بجلاء في العلاقات التجارية الدولية والدبلوماسية أنه يمكن أن يكون في هذين المجالين أقصى سرعة في عمليات تبادل المعلومات، ولكننا ما إن نصل إلى الجوهري؛ ونعني توقيع اتفاق ما فإن أطراف الاتفاقية موجودون جسدياً، ويفقدون الزمن اللازم للاتفاق حقاً بوساطة المترجمين المحترفين. وما إن يتعلق الأمر بمراهنات اقتصادية ضخمة وعلاقات دولية كالسلام والحرب فإننا نقبل بالاستمرارية التي تدينها في مجالات أخرى ثقافتنا المعاصرة. [141] إن الترجمة، النمط المعارض للسرعة، وللعقلانية وللموضوعية، هي تثمين للذكاء البشري،

وللتخيل، وللزمن، وللتأويل. وبهذا تكون الترجمة الرمز الأفضل للتنوع الثقافي، وللضرورة المطلقة لقبول أن نترك الزمن الكافي للعبور من نمط معين من التبادل إلى نمط آخر، ومن نظام ثقافي إلى نمط ثقافي آخر. إن الترجمة تمثل ما يهمني في التواصل: التفاعل، معاناة الآخر، المعاني المعكوسة، النفي والتعايش في أفق تبادلات ناجحة. إن كل هذا يجعل كل ما تعد به التقنيات؛ التقنيات التي لا تني تتجدد، من ترجمة آلية طبيعية وسريعة أمرا نسبياً. إن الترجمة الآلية هي بالطبع ممكنة من اللحظة التي يكون فيها المعنى بسيطاً ويحافظ على المعنى نفسه في كل أشكاله. وهي حالة نادرة طالما أن الكتابة شأنها شأن الكلام، ناهيك عن الصور، هي أمور لا تني متشابكة مع حالات التزييف والمعاني المزدوجة. والمعكوسات. لأن أقسى ما تتعرض له الكلمات واللغات هو أنها ليست مجرد أدوات للاتصال، بل هي بما لا يقل عن الصور رؤية للعالم. إن الترجمة هي على الدوام جس بين عدد من الثقافات، وهي في الوقت نفسه اعتراف بشرعية الآخر. لهذا ينبغي أن تعد الترجمة رمزاً "لعولمة آخرى"، العولمة التي تعترف، بعيداً عن منطق التبادلات الاقتصادية والتقنيات[142] بالمكانة المركزية للثقافات وللتواصل ولـ اللاتواصل.

إن الترجمة هي على الدوام إعادة كتابة وإعادة إبداع، إنها فتح جديد لأبواب الفهم الموصدة، وهي الاعتراف مرة آخرى باستحالة الاستمرارية بين اللغات والثقافات، والاعتراف أيضاً بالصعوبة التي تحول دون حبس المعنى في حيز واحد مع مظاهر الإخلاص ومظاهر الخيانة.

إن الترجمة لا تكبح جماح التواصل. إنها تمثل فيه اختبارات تجاوز الفخاخ، ولكنها تمثل العظمة أيضاً. إن البشر يبدعون ويتحدثون

ويكتبون للآخرين في جنبات ذلك البحث الذي لا نهاية له عن الحوار، بحث هو في غالب الأحيان غير بارع، ولكنه من جيل إلى جيل يصنع التاريخ. إن في عمق الترجمة يقبع واحد من أكثر مفاخر الثقافة والمعرفة، إنها ضرب من التيه في المعرفة والمتعة، أمر بين الحقيقة وعدم الإخلاص، ليست على الإطلاق نسخة عن الأصل، ولكنها مزيج من العقلانية والتخيل والعبقرية لكي نبتعد ونقترب، وكل هذا بوساطة وظيفة الناقل التي التي لا يمكن لأي شيء أن يحدث بدونها. إنها في نظري رموز للرهان الثقافي للعولمة: إنه نهاية المسافات المحسوسة بصفتها توحي باتساع المساحات الثقافية. كل الناس يرون كل شيء ويعرفون كل شيء، كل شيء يجري تبادله، ولكن التفهم لا يربطه أي شيء "بالسمة المرئية" للرسائل وللمشاركين. ما دليل ذلك؟ هل يفهم بعضنا بعضاً، ويحتمل بعضنا بعضاً أفضل[143] اليوم في هذه القرية الكونية التي تعج بالرسائل والتفاعلات والصور والمعطيات؟

إن القليل من الاهتمام والتقدير الذي يحيط للأسف بمسألة الترجمة يذكِّر بما يحدث أيضاً في مجال التواصل الذي يُختزل في الأعم الأغلب في نقل المعلومات والتفاعلات التقنية. ويمثل ذلك التأخر المتجذر بين التوق إلى التقنية وإهمال ما هو أصعب من ذلك بكثير: شروط التقارب والتعايش بين رؤى مختلفة للعالم. الانبهار بالأدوات أكثر من احترام الذكاء الضروري للوصول إلى إقامة حوار. إن الترجمة هي جواز العبور للوصول إلى الآخر.

ببليوغرافيا مختارة

- CALVET, L.-J., Pour une écologie des langue du monde, Paris, Plon, 1999.
- CASSIN, B. (dir.), Vocabulaire européen des philosophies. Dictionnaire des intraduisibles, Paris, Le Robert/ Le Seuil, 2004.
- D'ALIGNY, F.-X., GUILLAUME, A. NIEDER, B., RASTIER, F., TREMBALY, C., WISMANN, H., (DIR), Plurilinguisme, interculturalité et employ: Défis pour l'Europe, Paris, L'Harmattan, 2009.
- Déclaration universelle de l'Unesco sur la diversité culturelle, Paris, Éd. De l'unisco, 2002 (disponible en anglais, arabe, chinois, espagnol, frençais et russe).
- GRADDOL, David, The Future of English? A Guide to Forecasting the Popularity of the Englaish in the 21st Centrury, The British Company (UK) Ltd, 1997 (nell éd., 2000). En ligne sur <http:// www.britishcouncil.org/learning-elt-future.pdf>.
- GUIDÈRE, M., Irak in Translation: De l'art de perdre une guerre sans connaître la langue de son adversaire, Paris, Éditions Jacob-Duvernet, 2008.
- HEIM, M., TYMOWSKI, A. W. (DIR.), Recommandations pour la traduction des texts des sciences humaines, trad. De l'anglais par Bruno Ooncharal, New York, American Council of learned

Societies, 2006. En ligne sur www.acls.org/sstp.htm (disponible en anglais, arabe, chinois, espagnol, français, japonais, russe et vietnamien).

Language Matters, A Position Paper, British Academiy, Londres, 2009. En ligne sur <www. Britac.ac.uk/reports/language-matters/index.cfm>

- LTC (Language Technology Centre), Study on the Size of the Language Industry in the EU[Étude sur la taille de l'industrie linguistique dans L'UE], Réalisée pour la Direction Générale de la traduction (DGT), Commission européene, 2009. En ligne sur http://ec.europa.eu/dgs/translation/publications/studies/size_of_language_industry_en.pdf
- MATTEART, A., Diversité culturelle et mondialisation, Paris, La Découverte, [coll. Repères], 2005 (nlle éd. 2007).
- MORIN, E., Introduction à la pensée complexe, Paris, Le Seuil, 1990.
- OUSTINOFF, M., La traduction, Paris, PUF [Coll.que sais-ge?], 2003 (3e éd. 2009).
- SEN, A., L'Inde, histoire, culture et identité, trad. De l'anglais par C. Cler, Paris, odel Lacob, 2007.
- WOLTON, D., L'autre mondialisation, Paris, Flammarion, 2003.
- WQLTON, D., Informer n'est pas communiqué, Paris, CNRS, Éditions, 2009.

كشاف المصطلحات

الكلمات المثبتة في هذا الكشاف مشار إليها برمز * في النص.

الإنجليزية=Anglais: لغة العولمة المهيمنة في الوقت الحالي، وينبغي ألا نخلط بينها وبين الإنجليزية الكونية "globish" التي ليست إلا مجرد مسمى مشترك. إن الإنجليزية، شأنها شأن لغات أخرى في الماضي مثل الإغريقية أو الآرامية في العصور القديمة، واللاتينية والعربية في القرون الوسطى، والفرنسية بدءا من القرن الثامن عشر، والصينية في آسيا، إلخ.، هي لغة ثقافة عن جدارة واستحقاق، لغة "لا مناص منها"، بيد أن الإنجليزية تجد نفسها أكثر فأكثر أمام منافسة لغات أخرى لها مثل الإسبانية أو العربية أو الصينية أو الهندية أو الروسية، في عالم يمضي صعداً في طريق التنوع، وخصوصاً بسبب تخليه عن الصبغة الغربية. وينبغي ألا نخلط أيضاً بينها وبين كل شيء بالإنجليزية "tout-à-l'anglais".

العروبية=Arabophonie: إن الفضاء العروبي في أوج توسعه، سواء كان ذلك من وجهة نظر اقتصادية أو سكانية. ومع ذلك نجد أنه من الضروي تسجيل الملاحظات التالية: لا يوجد، على عكس الفكرة السائدة لغة عربية واحدة، بل عدة لغات. إن مغربياً وعراقياً سيجدان على سبيل المثال صعوبة في التفاهم إذا تحدثا كل بلغته المحلية. بيد أنهما سيتفاهمان عبر العربية القياسية التي تستخدمها على

سبيل المثال قناة الجزيرة شرط أن يكون لديهما مستوى تعليمي كاف. إن هذه اللغة هي لغة مشتركة حقيقية للفضاء العروبي. وإن ذلك ميزة رئيسة يمكن للتقنيات الجديدة للإعلام والاتصال (NTIC) أن تزيد من وتيرتها.

الحوار البين ثقافي=Dialogue interculturel: حوار بين الثقافات. إننا نعيش عصر العولمة الثالثة (ولتون Wolton, 2003)، وهو ذو طبيعة ثقافية. كانت العولمة الأولى ذات طبيعة سياسية مع نشوء الإمم المتحدة l'ONU، وكانت العولمة الثانية ذات طبيعة اقتصادية (السنوات الثلاثون السِّمان. إلخ). وإنه لمن المستحيل البقاء في إطار هاتين العولمتين مما يجعل الحوار البين ثقافي أولوية رئيسية إذا أردنا تجنب خطر الأزمات الأساسية التي تنشأ في القرن الواحد والعشرين (انظر مدخل "العولمة").

التنوع الثقافي=Diversité culturelle: مصطلح يحيل إلى وجود ثقافات مختلفة عبر العالم وإلى ضرورة الحفاظ على هذا الاختلاف. لقد اعتمدت اليونيسكو في 20 أكتوبر"تشرين الأول" 2005م اتفاقية حماية تنوع التعبير الثقافي وتشجيعه.

إبيستمولوجي Epistémologique: صفة لما يتعلق بالإبيستمولوجيا، أي النظرية العامة للمعرفة (من الكلمة اللاتينية épistémê: معرفة، علم) أو أنها بتخصيص أكثر الدراسة النقدية للمناهج المستخدمة في كل العلوم سواء كانت علوماً إنسانية أو علوماً صورية أو طبيعية.

الفرانكوفونية Francophonie: مصطلح شأنه شأن العروبية والإسبانوفونية والبرتغالوفونية، إلخ.، الفرانكوفونية هي معطىً حيوي وأساسي في العالم المعاصر. وينصرف في واقع الأمر إلى شكلين: ينتمي

الأول إلى الماضي. إنه شكل رؤية الحنين إلى الماضي، المصنوع قليلاً أو كثيراً بصبغة استعمارية جديدة تسعى إلى الدفاع عن اللغة الفرنسية ليعود إليها تأثيرها الغابر، وهذه رؤية ضد تيار التاريخ. وهناك رؤية آخرى، معاصرة وجريئة لأنه بكليتها منفتحة على أقصى درجات التنوع في العوالم الفرانكوفونية (وليست متمركزة على الأرض الفرنسية فقط)، وهي منخرطة انخراطاً تاماً في العولمة وفي التنوع الثقافي.

الإنجليزية الكونية Globish: كلمة منحوتة من كلمتين (global-English) وبعبارة آخرى اللغة الإنجليزية بصفتها لغة مشتركة lingua franca للعولمة. لقد كان هذا المصطلح في بداية الأمر مصطلحاً وصفياً خالصاً أو تقيمياً، وهو اليوم يمضي صعداً في فقدان الاعتبار عندما نقصره على مجرد تسمية مشتركة هي أنه لغة التواصل في الحد الأدنى، إن الإنجليزية الكونية (الغلوبيش) لم تعد تسمح بالتواصل بأي طريقة إلا بطريقة سطحية (انظر الإنجليزية anglais وكل شيء بالإنجليزية tout-à-l'anglais).

الإسبانوفونية Hispanophonique: إن الفضاء الإسبانوفوني في عصر العولمة هي في اتساع متنامٍ، وذلك لثلاثة أسباب جوهرية. الأول هو النمو المذهل لمنطقة أمريكا اللاتينية التي تتحدث الإسبانية سواء على المستوى السكاني أو الاقتصادي أو السياسي (انهيار الديكتاتوريات التي حلت محلها أنظمة ديموقراطية) أو الثقافي. والسبب الثاني هو البروز الذي لا يقل إذهالا لسلطة العنصر الإسباني في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو بروز ربما يحول الولايات المتحدة في آخر الأمر من ولايات متحدة إلى ولايات مزدوجة اللغة مثل كندا. أما السبب الثالث فيعود إلى واقعة أن الإسبانية واحدة من اللغات الأكثر انتشاراً في العالم، وهي منذ زمن طويل واحدة من اللغات الرسمية في

الأمم المتحدة على سبيل المثال. إنها واحدة من اللغات التي بدأت تنافس الإنجليزية منافسة جادة.

التفاهيم البيني Intercompréhension: ملكة المرور من لغة إلى آخرى بسبب قرب تلك اللغات من اللغة الأم التي تنتمي إلى الأسرة اللغوية نفسها. وفي هذا السياق يمكن للدنمركي والنرويجي والسويدي أن يتواصلوا بلغاتهم الخاصة بدرجات متفاوتة (اللغات الجرمانية). وينطبق الأمر نفسه على اللغات السلافية (الروسية والبولونية والبلغارية، إلخ.) وفي رحاب اللغات الرومانية بين متحدثي اللغات البرتغالية والإسبانية والإيطالية. ولن يلقى متحدث الفرنسية لأول وهلة التسهيلات نفسها بسبب المسافة الكبيرة التي تفصل الفرنسية عن اللغات الآخرى التي تنتمي للمجموعة نفسها وعلى وجه الخصوص اللغة الرومانية، إلخ. بيد أن التفاهم البيني الذي يتفاوت في مساحته هو ورقة رابحة مهمة للتواصل المتعدد اللغات (انظر التعددية اللغوية plurilinguisme).

ما يستعصي على الترجمة=Intraduisible: إن هذا الأمر الذي كان في الماضي يعد العيب الخلقي للترجمة التي هي في طبيعتها عاجزة عن أن تكون مطابقة للأصل. أما اليوم فإننا ننظر إلى الأمر من زاوية جديدة. إن ما يستعصي على الترجمة بعيد عن أن يكون عقبة، إنه ورقة رابحة: إنه يصبح عبر العمل التحويلي الإبداعي الذي تفترضه أي ترجمة جيدة قوية تسمح لكل ترجمة جديدة أن تقدم نسخة آخرى من النص الأصلي كانت حتى اللحظة غائبة (كاسان Cassin, 2004).

–لغة التوصيل/ لغة محلية Langue véhiculaire/ Langue vernaculaire: اللغة المحلية هي اللغة التي يتكلمها الناس محلياً في

الحياة اليومية؛ واللغة التوصيلية هي لغة مستخدمة في الخارج سواء كان ذلك على المستوى الوطني أو العالمي. فالفرنسية على سبيل المثال هي في آن معاً لغة محلية في فرنسا ولغة توصيل على المستوى الدولي (إنها واحدة من اللغات الرسمية في الاتحاد الأوروبي وفي منظمات الأمم المتحدة، إلخ.).

لغة التواص الدولية=Lingua franca: نعني بهذا المصطلح، إذا اقتصرنا على العالم الغربي، لغة التواصل الدولية على نمط اللغة المشتركة الإغريقية ("لغة مشتركة") في العصر الهيليني، واللغة الإنجليزية اليوم، مروراً باللاتينية في القرون الوسطى والفرنسية في عصر النهضة.

ونذكر عرضاً أن هذا المصطلح يمكن أن يتسع لنفهم منه أنه ينطبق على مستوى البلد نفسه. مثال ذلك ما نسميه اعتياديا اللغة الصينية ليس واحداً من أشكال هذه اللغة التي يتحدثها الناس في الشمال وعلى وجه الخصوص في العاصمة بيجين، وهي لغة تسمى أيضاً لغة مشتركة putong hua. وهي في هذا المعنى المتسع مرادفة لمصطلح "لغة توصيلية langue véhiculaire.

التوطين=Localisation: يشير هذا المصطلح إلى مجموعة إجراءات تكييف منتوج ما في منطقة معينة. وهو يتضمن على وجه الخصوص الترجمة إلى لغة المنطقة المعنية، والتكييف مع المعايير، ومع الثقافة، ومع الحاجات الخاصة للسوق المستهدفة. لقد أصبح هذا النشاط بعداً إستراتيجياً للعولمة، وأصبح الشعار المعلن "لا ترجمة، لا مُنْتَج". إن التوطين إذا فهمناه بهذا المعنى تنطبق بكيفية واحدة على التكييف/الترجمة للبرامج الإلكترونية، وعلى مواقع الويب، وعلى التوثيق بجميع أنواعه (دليل التركيب، كتيب الاستخدام، المطويات، إلكترونياً

أو ورثياً، إلخ.): إنها تشكل قطاعاً صناعياً جديداً ولد مع العولمة وهو في مرحلة توسع كبير.

البرتغالوفونية=Lusophonie: لقد وجدت اللغة البرتغالية أن تأثيرها قد تنامى سواء على المستوى الاقتصادي أو الجيو سياسي، وعلى المستوى السكاني أيضاً، وقد ترافق ذلك مع التقدم الكبير الذي أحرزته البرازيل التي هي اليوم القوة العالمية التاسعة، ويُتوقع لها أن تصبح الخامسة في العقد القادم. وآية ذلك أن عدد متحدثي البرتغالية ارتفع خلال ما يقارب خمسين عاماً من 70 مليون نسمة في عام 1960 إلى حوالي 200 مليون نسمة اليوم في البرازيل وحدها. وعندما نعلم أن التفاهم البيني بين برتغالي وإسباني هو سهل نسبياً فإننا نرى الإمكانات الكامنة التي يبشر بها الفضاء البرتغالوفوني.

العولمة: Mondialisation (المصطلح الإنجليزي هو globalization): ليست مجرد عملية انفتاح كل الاقتصادات الوطنية على السوق الذي أصبح كوكبياً.والواقع أن هذا ليس إلا العولمة الثانية من سلسلة العولمات التي تتابعت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (ولتون 2003). كانت العولمة الأولى ذات طبيعة سياسية مع إنشاء منظمة الأمم المتحدة. والثالثة هي ذات طبيعة ثقافية. وعلى العكس مما هو شائع إن هذه العولمة الثالثة هي اليوم أهم العولمات الثلاث لأن التعايش الثقافي مرتبط بها، والتعايش الثقافي هو الرهان الرئيس للقرن الحادي والعشرين (انظر أيضاً "الحوار البين ثقافي" Dialogue interculturelle).

التعددية الثقافية=Multiculturalisme: مفهوم أنجلو ساكسوني له تأويلات مختلفة. يمكن لهذه الكلمة أن تحيل في آن معاً إلى وجود مشترك لمختلف الثقافات (الإثنية واللغوية والدينية...)،

ويمكن أن يحيل أيضاً إطار سياسي ينظم الفضاء الشعبي والمؤسساتي لدولة ما، كما هي الحالة في كندا أو في المملكة المتحدة. إن التعددية الثقافية، عندما تحمل اسم السياسات التطوعية لصالح الجماعات المهاجرة، يمكنها، وهي توفر وضعية اجتماعية متساوية لأفراد مختلف الجماعات الثقافية، دون أن تأخذ في الحسبان العوامل التاريخية والتراثية، ولا المعايير الاجتماعية الغالبة، يمكنها، أن تفضي إلى استمرارية الجماعات الأصلية وإلى ممارسات اجتماعية متراجعة.

التنوع اللغوي=Multilingue: ينبغي أن نفهم من المصطلح وجود عدد من اللغات في فضاء محدد (منطقة ثقافية، دولة، منطقة، موقع أنترنت، مطوية متعددة اللغات، إلخ.) دون أن يتكلم الأشخاص المعنيون عدداً منها. ويمكننا بذلك أن نكون أحد مواطني الاتحاد الأوروبي الذي يضم حالياً 23 لغة رسمية دون أن نتكلم من تلك اللغات إلا لغة واحدة. واعتاد الناس اليوم بسبب التوسع في استخدام المصطلح أن يخلطوا بين "التنوع اللغوي Multilingue" و"التعدد اللغوي plurilingue".

النسق=Paradigme: مشتق من الكلمة الإغريقية paradeigma التي تعني "النمط"، "المثل". ويعني المصطلح الذي أشاعه فيلسوف العلوم توماس كوين Thomas Kuhn (1922-1996) على وجه العموم مجموعة التمثيلات التي تشكل بنية التصورات المعرفية في عصر محدد.

التعدد اللغوي=plurilingu: ينبغي أن نفهم من مصطلح التعدد اللغوي قدرة فرد معين على التحدث بعدة لغات (لغتان، ثلاث لغات، إلخ.) بدرجات مختلفة. وليس من الضروري إتقان كل واحدة من تلك اللغات إتقانا تاماً. إن السياسة التي اعتمدها الاتحاد الأوروبي، وهي

السياسة المتبعة في فرنسا، تهدف إلى تشجيع التعددية اللغوية بكل أشكالها. واعتاد الناس بسبب التوسع في المصطلح أن يخلطوا بين التعدد اللغوي "plurilingue" والتنوع الثقافي "multilingue".

القوالب الجاهزة=Stéréotypes: مجموعة من المعتقدات المتعلقة بالسمات التي يتقاسمها أعضاء مجموعة ما. والقوالب الجاهزة هي تمثيلات متجمدة، وهي موجودة في صلب التخييلات الاجتماعية، وأنظمة التخييل المشتركة للواقع.

كل شيء للإنجليزية=Tout-à-l'anglais: تصور يكفي حسبما يرى أصحابه أن نجعل من لغة ما، وبالتالي الإنجليزية اليوم، الاتجاه الوحيد للاتصالات المعولمة، باعتبار أن اللغات الآخرى مدعوة إلى أن تؤدي دورا من الدرجة الثانية. ويتعرض هذا التصور أكثر فأكثر إلى النقد، وخصوصاً بسبب الارتقاء الذي تحققه بقوة لغات مثل الإسبانية والصينية والهندية أو الروسية، وبسبب التقنيات الجديدة للإعلام والاتصال.

المؤلفون

إبراهيم البلوي= Ibrahim Albalawi، أستاذ اللسانيات في جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية). عضو اللجنة العلمية لجائزة خادم الحرمين الشريفين العالمية للترجمة، ونائب رئيس الجمعية السعودية للغات والترجمة. وتنصب أبحاثه على الالتقاء اللغوي بين العربية والفرنسية وعلى الترجمة.

بربارة كاسان Barbara Cassin: مختصة في الفلسفة وفقه اللغة، وأستاذة أبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) (العلوم الإنسانية والاجتماعية، الوحدة 35 التي ترأسها منذ عام 2009م). لها عدد من المنشورات، وهي تشرف خصوصاً على المصطلحات الأوروبية للفلسفات، معجم ما لا يترجم (دار نشر سويْ Seuil وروبير Le Robert، 2004م)، وهو في مرحلة الترجمة إلى سبع لغات منها الإنجليزية والعربية، وتنتمي إلى فريق البحث المتقدم في التنوعية اللغوية في رحاب المجلس الأوروبي.

فؤاد لعروسي=Foued Laroussi: أستاذ التعليم العالي في جامعة **روان** Rouen. يشرف على مخبر البحث LiDiFras (لسانيات، مبادئ التعليم، الفرانكوفونية). تنصب أبحاثه على اللسانيات الاجتماعية للتعددية اللغوية، وعلى السياسات اللغوية والفضاء الفرانكوفوني، وفي جزيرة مايوت Mayote على وجه الخصوص.

جان–مارك ليفي–لوبلون Jean-Marc Lévy-Loblond: فيزيائي، وإبيستمولوجي، وباحث، أستاذ شرف في جامعة **نيس** Nice

حيث يدرس في أقسام الفيزياء، والفلسفة والازصال، وهو مدير السلسلة العلمية في منشورات سويْ Seuil ومجلة ألياج Alliage.

ليونار أوربان=Leonard Orban: مهندس تأطير. المفاوض المعاون، ثم المفاوض الرئيس لرومانيا لدى الاتحاد الأوروبي، وقد نذر نفسه إبان مسيرته في بوخارست وبعد ذلك في بروكسل للقضية الأوروبية ولتقريب رومانيا والاتحاد الأوروبي، وأدى دورا حاسما في دخول بلده الاتحاد الأوروبي. ومارس أيضاً مهمات سكرتير دولة في رومانيا. وفي يناير"كانون الثاني" 2007م أصبح المفوض الروماني الأول في التاريخ الأوروبي، المكلف بالتنوع اللغوي. وظل في منصبه مدة ثلاثة أعوام شجع خلالها تعليم اللغات والتنوع الثقافي واللغوي.

ميخائيل أوستينوف=Michaël Oustinof: مدرس مؤهل للإشراف على البحوث (HDR) في معهد العالم الأنغلوفوني في جامعة باريس الثالثة، السوربون الجديدة، وهو عضو في فريق الاستقبال4356 EA(بريسميس Prismes)، وهو أيضا عضو في هيئة تحرير مجلة باليمبسيت Palimpsestes (PSN) ، ورئيس هيئة محرري مجلة هرمس Hermès.

دومينيك ولتون=Dominique Wolton: مدير معهد علوم الاتصال (ISCC) في المركز الوطني للبحوث (CNRS)، مؤسس مجلة هرمس ومديرها (منذ عام 1988م 85 عدداً).

خو يون=Xu Jun: أستاذ في جامعة نانجين (في الصين)، وهو فيها نائب رئيس المجلس العلمي أيضاً. وهو نائب رئيس الجمعية الصينية لأساتذة اللغة الفرنسية وللجمعية الصينية لدراسات الأدب الفرنسي، حاز في عام 1999م على وسام السعفة الأكاديمية في فرنسا.

مترجم عدد من الأعمال الأدبية وكتب العلوم الإنسانية، ونشر عدة بحوث. وهو أيضاً نائب رئيس الجمعية الصينية للمترجمين.

لالبيلا أريستيد يودا=Lalbila Aristide Yoda: أستاذة محاضرة في جامعة واغادوغو Ouagadougou (بوركينا فاسو) حيث تدرس الحضارة البريطانية ونظرية الترجمة، في قسمي الدراسات الأنغلوفونية والترجمة والتأويل. وتنصب أعمالها البحثية ومنشوراتها على المنظور الثقافي للترجمة، وعلى المؤسسات البريطانية، وعلى تاريخ الإمبراطورية البريطانية وبلاد الكومنولث، وعلى الأدب الإفريقي أيضاً.

الترجمة والعولمة

يعيش العالم اليوم أعظم مراحل حياة الإنسان على الأرض وأخطرها في مجالات الكون كله: الفضاء، أعماق البحار، أقاصي الدنيا، الدماغ البشري، الخريطة الوراثية، الجينات، الاتصالات، الأسلحة النووية والهيدروجينية، الحاسبات العملاقة وغير ذلك مما يسهل حياة البشر ويهددها. وتشكل الترجمة في هذا البحر المتلاطم من قدرات الإنسان وضعفه وسيلة من أهم وسائل الاتصال فيما نسميه اليوم: العولمة. التي يظن غير المتابع للتاريخ الحديث أنها بدأت في أول القرن الحادي والعشرين مع انفجار وسائل الإعلام الفضائية. والحقيقة أن العولمة ثلاث عولمات: سياسية بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإنشاء منظمة الأمم المتحدة، واقتصادية بدأت مع عملية انفتاح الاقتصادات الوطنية على سوق أصبح كونياً في نهاية القرن العشرين. والثالثة هي عولمة ثقافية نعيشها اليوم في إطار مصطلحات كحوار الحضارات، وحوار الثقافات والتعدد اللغوي والتنوع اللغوي والتعددية الثقافية والتعددية اللغوية وحماية التنوع البيئي واللغوي والتعبير الثقافي. كل هذا وغيره من التحديات التي يواجهها العالم جعل للترجمة أهمية في التواصل بين البشر.

المترجم: محمد خير محمود البقاعي: مترجم وباحث، عضو هيئة تدريس في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك سعود. مهتم بترجمة نصوص اللغويات والنقد الأدبي والعولمة والتاريخ والأساطير. وله بحوث محكمة في دوريات عربية وعالمية في المجالات السابقة. يعكف على ترجمة معجم المستشرقين الفرنسيين ومن كتبوا بالفرنسية.

ISBN: 978-614-01-0757-5
9 786140 109575

وزارة التعليم العالي
الملحقية الثقافية السعودية في فرنسا

توزيع
مسورات صفاف
DIFAFPUBLISHING
editions.difaf@gmail.com